الملحق الثقافي

ملحق أسبوعي
يصدر كل ثلاثاء
عن جريدة الثورة
العدد 1191
2024/5/28

ملف العدد

المرأة مبدعة وملهمة

أول الكلام

وطن الإبداع

▪ ديب علي حسن

لم يعرف التاريخ الإنساني أمة قدرت مكانة المرأة كما العرب، وهذا ليس من باب كيل المديح للماضي أو محاولة تجميل الصورة بل حقيقة تقدم الوقائع التاريخية المدعومة بالمكتشفات الأثرية الدليل عليها فهي في الإسطورة آلهة وملكة وما من عبادات وثنية كانت إلا وكان للمرأة فيها النصيب الأكبر.

حتى يمكن الحديث عن دراسات نشرت تحت عنوان (عندما كانت المرأة آلهة).

وفي التراث العربي بعد العصر الجاهلي نجد المكانة التي تزداد سمواً روحياً وجمالياً..... ها هو ابن عربي يقول:(كل ما لا يؤنث لا يعول عليه) وفي تاريخ الأدب العربي لن ننسى الشاعرات أمثال الخنساء وولادة بنت المستكفي.

المرأة ملهمة الإبداع لأنها خصب الإبداع (قيس وليلى جميل وبثينة جبران ومي وغيرهم كثير).

وفي الآداب العالمية ثنائيات الإبداع الزا واراغون سارتر وبوفوار ايلوار وغالا بيكاسو وملهمته.

في هذا الملف نحاول أن نستحضر عطر الإبداع، ونذكر أن المرأة ستبقى روحه وشذاه، ولن يستطيع هذا الطغيان المادي والانفلات الأزرق أن يصادر مكانتها، فكل إبداع ليس فيه لمسة من دافع جمالي وإنساني تدفعه امرأة هو إبداع يابس جامد لا معنى له.

إنها ثنائية الخصب رجل وامرأة كل يكمل الآخر.

لوحة من الفن العالمي

سليمان العيسى وسمراء حلب

ملهمة أنشودة المطر

الكتاب الشعبي إلى متى؟

تطريب قصيدة النثر

رئيس التحرير
أحمد حمادة
مدير التحرير
معد عيسى
إشراف
ديب علي حسن
الإخـــراج
هدى نصر شمالي

توجه جميع الرسائل
باسم هيئة التحرير
D.hasan09@gmail.com
هاتف ٢١٩٣٢٢٢

معرض صور

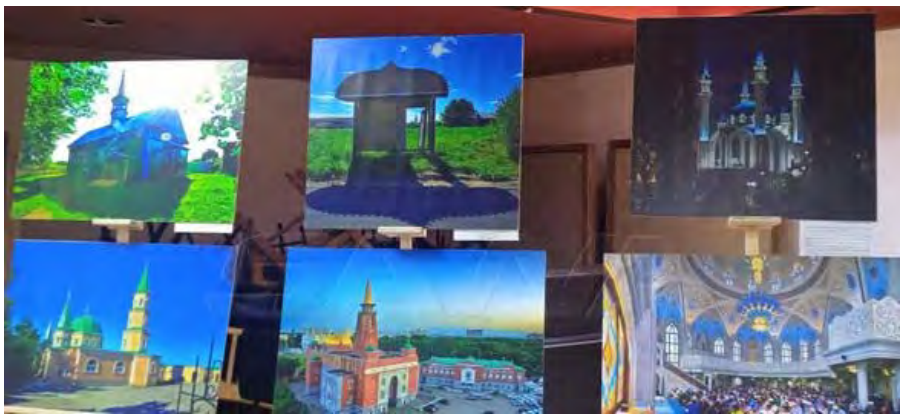

نظمت مديرية الثقافة بحمص بالتعاون مع المركز الثقافي الروسي بدمشق معرضاً بعنوان «الإسلام في روسيا» للمصور الفوتوغرافي إيلدايا مبيكوف و«نور الأيقونات المسيحية» للفنان التشكيلي الروسي اندريه روبوف.

وقدمت المختصة بتاريخ الفن المسيحي في الشرق وسورية الدكتورة كاتيرينا باغينسكايا خلال افتتاح المعرض الذي استضافته قاعة المعارض بثقافي حمص شرحاً عن تاريخ الأيقونات المسيحية التي تعود بدايتها إلى القرن الحادي عشر للميلاد وتأثرها حينها بالفن البيزنطي ثم تطورها وتأثرها بالفن الغربي ما أعطاها جمالية من حيث التكوينات والألوان التي تعبّرعن ملامح وتعابير السيد المسيح في مختلف الحالات الوجودية واللاهوتية.

من جهته أوضح رئيس الرابطة السورية لخريجي الجامعات الروسية مستشارالمركز الثقافي الروسي بدمشق علي الأحمد أن المعرض الذي جاء ثمرة توقيع اتفاقيتي تعاون مع أهم فنان ومصور روسي وهو «ميبكوف» ومع متحف «روبوف» وهو أهم متحف للأيقونات الدينية في روسيا الاتحادية حيث يضم أكثر من عشرة آلاف من روائع الأيقونات في روسيا منذ القرن الحادي عشر وحتى القرن العشرين وتم اختيار خمس عشرة أيقونة منها لتشارك في المعرض بحجمها الطبيعي إلى جانب الصور التي تبرز جمال فن العمارة الإسلامية في روسيا من خلال المساجد الكثيرة المنتشرة في عدد من مدن روسيا الاتحادية بوجود ثلاثة وثلاثين مليون مسلم فيها.

وعبرت رئيسة الجالية الروسية في سورية أستاذة الموسيقا في جامعة البعث «اناستاسياكولسكينا» عن سعادتها بإقامة المعرض بمدينة حمص وسطى المدن السورية والذي يرمز إلى عمق العلاقات الروسية السورية وإلى أن شعبي البلدين تجمعهما المبادىء والقيم الإنسانية التي تؤكدها الأديان السماوية.

وتوصل المختص بالأيقونات المسيحية الأب جابر ليوس الذي زار المعرض إلى أن الفن الروسي بأيقوناته تميز بكثرة التفاصيل التي حاكى فيها الأسلوب البيزنطي في القرن العاشر ليتجه بعدها نحو فن الايكونوغرافيا.

وثمن الأب الدكتور ميشيل نعمان من مطرانية السريان الكاثوليك بحمص أهمية المعرض الذي يعبر عن السلام والوئام المسيحي الإسلامي في سورية وروسيا كمثال للرقي والحضارة الإنسانية القائمة على مبادىء الاحترام والانفتاح المتبادل بين البلدين ومع الشعوب الأخرى.

وأعرب إمام وخطيب مدينة حمص الشيخ زكريا العريضي عن سعادته بالمعرض الذي يجسد التراثين الإسلامي والمسيحي اللذين يجتمعان دائماً لبناء حضارة إنسانية تسهم في نهضة الأمة بشعبها الواحد.

بدورهما وجهت كلّ من مترجمة اللغة الروسية لينا طعمة والمعلمة آنا إيلينا وولدها منير الخالد الشكر للقائمين على المعرض الذي هو فرصة لتعريف الشعب السوري بتاريخ روسيا وحضارتها الجميلة فنياً ودينياً والتي هي شعلة فخر لكلّ روسي عاش في سورية.

ندوة

أدباء وكتاب الواقع الاجتماعي

أقام النادي الأدبي الثقافي والمركز الثقافي في أبو رمانة ندوة ثقافية تناولت أدباء وكتاباً قاموا بتصوير الواقع الاجتماعي الذي يتشابه مع الواقع الحالي في صالة المركز بأبو رمانة في دمشق.

مدير الهيئة العامة السورية للكتاب الدكتور نايف الياسين سلط الضوء على شخصية هنري شيناسكي في روايات وكتابات مختلفة للأديب الأميركي هنري تشارلز بوكوفسكي الذي يعتبر من أهم الأدباء الذي حظي بشعبية كبيرة وهو معروف للمثقفين العرب، وتعرض بحياته إلى كثير من الشقاء الذي انعكس على أدبه خلال كتابته في سن مبكرة.

ورأى الدكتور الياسين أنه كلما اهتم الكتاب بالفقراء ازدادت شعبيتهم، وهذا ظهر في كتابات بوكوفسكي في قصصه وروايته التي سبقه أرنست همنغواي في مجموعة من قصصه وتضم أكثر من عشرين قصة قصيرة.

وجاء محور الدكتور وائل بركات عن شخصية مورسو اللامبالي وعبثية الحياة بطل رواية الغريب لألبير كامو الشخصية الفرنسية التي عاشت في الجزائر وذهبت ضحية تداعيات وجرائم اجتماعية، مبيناً أن شخصية البطل خارجة عن المألوف بتصرفاته التي كان منها أنه أثناء مراسم دفن جثمان أمّه شرب القهوة مع الحارس ودخن لفافات التبغ بجانب الجثمان وكان صادقاً جداً.

على حين سلطت الدكتورة ربا ياسين الضوء على شخصية غريغور سامسا في رواية التحول المسخ للتشيكي الألماني فرانز كافكا التي تكونت عبر خيال الكاتب وتحركت بأحداث تشدُّ القارئ منذ بدايتها كي يتابعها حتى تنتهي.

وقدمت الشاعرة إيمان موصلي عن شخصية سكارليت أوهارا في رواية ذهب مع الريح للكاتبة الأميركية مارغريت ميتشيل بينت جوانب إنسانية كثيرة من خلال حركة البطلة التي ظهرت خلال الحرب الأهلية الأميركية، وكانت عبارة عن صراعات داخلية حدثت داخل الولايات المتحدة في الفترة من عام١٨٦١ إلى ١٨٦٥.

وفي تصريح له بين الشاعر والناقد الدكتور راتب سكر مدير النادي الثقافي أن الندوة تسهم في تشجيع المجتمع والمثقفين، ولا سيما الشباب على الاطلاع على كل الآداب التي من شأنها أن تغني فكرهم وتنمي المثاقفة المطلوبة، ومعرفة الأدب العالمي وما يتضمنه من إيجابيات وسلبيات.أدارت الندوة رئيسة تحرير مجلة شامة أريج بوادقجي.

كتاب العدد

حسب الترتيب الهجائي

حبيب إبراهيم
حسين صقر
خالد حاج عثمان
رجاء شعبان
رفاه الدروبي
سهير زغبور
شوقي يوسف
علم عبد اللطيف
عبد الكريم الناعم
عبد الكريم العفيدلي
فوزي الشنيور
ليزا خضر
هيلانة عطا الله
وضحى يونس
وفاء يونس
ياسر الصيرفي

تطريب قصيدة النّثر وخطورة دورها اللّغوي

د. وضحى أحمد يونس

وصف الشاعر السوري توفيق أحمد كتابه المعنون:(عصافير تنقر سنابل كفي) الصادر عن دار بعل في طبعته الأولى بـ(تأملات في الحب والحياة)، ولم يصفه بأنه تأملات في المرأة ذلك أن بدهية تحكم قلب وعقل الشاعر في آن معاً هي أن الحب والحياة ليسا شيئاً غير المرأة.

إن العتبة النصية الأولى في كتاب (عصافير) هي غلافه الذي خُطّت عليه كلمة (عصافير) باللون الأبيض موحية بالبراءة والطفولة بينما خُطّت بقية كلمات العنوان: (تنقر سنابل كفي) باللون الذهبي مُذكّرةً بلون القمح في موسم نضجه وحصاده، كما تحتل الغلاف طولياً لوحة تظهر فيها ستارة حمراء تغطي معظم جسد إنساني إذ يظهر منه أحد الطرفين العُلْويين والطرفان السفليان وذلك على أرضية سوداء للوحة العائدة إلى الفنان السوري رائد خليل، فإذا منح القارئ لنفسه حرية تحليل العنوان وقف على تأويلات كثيرة أكتفي بذكر أحدها وهو الأكثر تغليباً للظن وهو أن الإنسان أبيض بنواياه، رمادي بتأثير غبار الواقع عليه، ذهبي في رغبته بامتلاك خبزه وكرامته، أما الستارة الحمراء فهي غالباً القناع الأكثر طغياناً بين ألوان الحياة بما يرمز به إلى ضجيج أزمات الواقع وفعلها الدامي وما يتملك الإنسان من خوف وحذر إزاءها، أما العصافير البيضاء فهي الأجيال المتلاحقة في مرحلة ما قبل امتلاكها الأجنحة والقدرة على الطيران، وفي أثناء أسئلتها عن القمح والأغنيات قبل أن تكبر في غفلة من سائر ذويها.

يمهّد الشاعر توفيق أحمد لكتابه بمقدمة تحتل عشر صفحات يرفض فيها وصف قصيدة النثر بالمولودة غير الشرعية كما يطرح السؤال الأكثر إلحاحاً اليوم وهو ما الفرق بين لغة الشعر ولغة النثر متسائلاً حول ما إذا كان في العربية لغتان إحداهما للشعر والثانية للنثر؟.

ولا يقدم الشاعر إجابة جاهزة بل يترك لقصائد مجموعته (عصافير) الإجابة على هذا التساؤل إجابة متأنية ودقيقة وشافية

أما فيما يتعلق بإشكالية تسمية النوع الذي تنتمي إليه النصوص فيما إذا كان نثراً أو شعراً فإنه يرفض تسميتها نثراً فنياً لأنها تسمية تقلل من شأن النصوص، ولكنه يتسامح في تسميات كثيرة أهمها (نص عابر للأزمنة) و(قصيد نثر)و(نص متوهج) فمثل هذه التسميات تليق بها من حيث إنها مرشحة لتكون بين أهم المنجزات الحضارية على صعيد الثقافة المعاصرة، وهي ليست مجرد نصوص سهلة التناول إبداعاً ونقداً بل إنّ لكتابتها وقراءتها شروطا كثيرة هي من الصعوبة بمكان بحيث يصبح الإلمام بالموروث اللغوي والجمالي والوعي بضرورة التجاوز أكثرها إلحاحاً، فقد آن الأوان حسب الشاعر توفيق أحمد لكسر معيارية القول، وإلغاء الحدود الفاصلة بين الأنواع الأدبية متابعةً للتحولات الشعرية من قصيدة العمود إلى قصيدة التفعيلة إلى قصيدة النثر حيث لا استقرار لأي مفهوم آلافا من السنين،

وليست هذه المرة الأولى التي يتجدد فيها شاعرنا فمن المعروف عنه تدرجه على سلم التطوير والتغيير حيث لم يترك تجريباً إلا ومارسه على الشعر ولم تنج الكلمات من حكمة حماقاته فعلى سبيل المثال لا الحصر يمكن القول إن قصيدة النثر في (عصافير) بجملها الطويلة المسترسلة في وصف الغوايات الجميلة هي نوع شبه مضاد أو لنقل مختلف عن قصيدة النثر التي تعتمد الومضة القصيرة مشحونة بدلالاتها المفتوحة مثل ومضات قصيدته (اللعنات):

ويقول فيها:

لُتُستَطَع مخاصمتك
أيها الخصر
إذا لم تُزنّر
بأحداق العيون
؛؛؛
لتتصالح
بكارة الضوء
وعتم الطرقات
؛؛؛

وهكذا فإن تحول الشاعر من المنظوم إلى المنثور هو إسراء بالشعر نحو الفكر، وتجريف لأمراض العاطفة، وحرث للعقل يقول في قصيدة (أنتِ ام الأيام القائظة):

لا شيء يدعو للفرح
ومع ذلك هناك فرصة دائمة
لأن يكون المستحيل ممكناً

تنطوي مقدمة الكتاب على أفكار رئيسة منها ضرورة مغادرة الشعراء مُتَرَدَمَهُم، الصرخة التي أطلقها عنترة منذ مئات القرون وها هو شاعر (عصافير) يتخذ قراره بالمغادرة ولو على سبيل مناصرة النص النثري المتوهج شعراً، وشرعنته إيماناً منه بضرورة الإبداع، والتواصل مع إيقاع الحياة السريع بتبدلاته المتلاحقة فالنثر وفق شاعرنا يكاد يكون ردة فعل على الانحطاط الحضاري، وهكذا كان واقع الأمر في أزهى عصور العربية حين تحول الإبداع في العصر العباسي من فن الشعر إلى فن الكتابة، وكذلك هو الحال اليوم فخصوصية قصيدة النثر تكمن في التحدي الإبداعي لتحقيق شعرية جديدة مؤسسة على الاختلاف المدروس وعلى بنى فكرية حيث تلعب البيئات المستجدة مع التجارب الشخصية دورها المعرفي والجمالي لأن النثر شئنا أم أبينا هو لغة العصر، وهو المشروع المُلح للاستفادة من فنونه في تنمية اللغة العربية، وتطويرها، والحفاظ عليها.

أسلوبية العنونة

العنوان هو عتبة للدخول إلى النص، وقد أراده الشاعر توفيق أحمد في نصوص (عصافير) علامة كاملة على النص وموجزاً له، فاتبع أسلوبية عنوانية فاعلة لها نظامها الخاص حيث حدّدت العناوين هوية نصوصها، ووشت ببعض مضامينها، حتى تحوّل العنوان إلى نصّ موازٍ للنص الأصل، وفتح باباً واسعاً للدخول إلى عالم الشاعر، وليس هذا غريباً، لأنّ العنوان صلة وصل بين شخصية الشاعر، والنص والقارئ، وهي صلة وثيقة، ودالة لأنها صلة تطابق أكيد فغاية العنوان هي غاية النص ذاته، وقد توفر لعنوانات النصوص الدقة، والملاءمة، والجاذبية فشكّلت مثيراً أسلوبياً ذا وظيفة إيحائية خالقة للدلالات، مكث فة للمحتوى.

اتسمت العناوين بالطول فهي كلها لا تقل عن ثلاث كلمات باستثناء ثلاثة عناوين هي التالية (رسالة إلى الريف) و(تمارين الألم)و (جغرافيا الملذات) بينما وصل عدد كلمات العناوين الباقية في كل منها إلى ما يقرب من سبع كلمات على الأكثر مثل (حمص، وورد والقصيدة والشجر لا يجيز إقصاء العصافير)و(فهرسي عواطفك، كي لا يهرب نخيلك من بلحي) ... الخ الخ

ونلحظ تناسباً عكسياً بين مضمون القصائد، وعناوينها، فالطويل منها ذو أفكار جزئية، والقصير منها ذو أفكار كلية، أما صياغتها فمحدثة بتنوع أساليبها بين الخبر والإنشاء، فمثال الخبر (نجومكِ مشدودة إلى سلالي)و (أقمارك تتأرجح في مداراتي) ومثال الانشاء (لمن يومئُ عصفوراك) ،و (عززّي إرادتي باستقصاء أشيائك) وقد بلغت مفردات العناوين حدّاً هائلاً من التنوع بين أسماء، وأفعال على اختلاف الأحوال والأزمنة حتى كأنّ الشاعر يريد لها بتنوعها، وغزارتها، وقوة دلالاتها ان تكونَ نهراً جارفاً من التجريب والإبداع يجرف ما سبق من الكتابة الشعرية عاكسا رغبة دفينة عند الشاعر، ونداءً صارخاً لكتابة جديدة بعد تجربته الخاصة في خوض غمار النثر بعد رحلة من نظم الشعر بلغت خمسة وأربعين عاماً

لا يكتفي الشاعر بالنظر إلى المرأة على أنها جسد وحسب بل يرى في حضورها حضور المدينة المتحضرة واللغة البليغة :

أعرف أنها لغة بليغة في الحب والوجد
يا لجمال ونداوة حروفها
يا للأساطير الكريمة
تفيض من شفاهها

و كأنّ أبعد غايات القصائد بناء مدينة مثالية وربما لأجل ذلك يعلو صوت الزلزلة والهدم ثم صوت البناء من جديد كما توحي موسيقى المعنى في قصائد منزاحة كليا عن موروثها جريئة وذاتية .

ثمة دافع شهواني للكتابة يشبه المراودة والرغبة، فالرغبة العاطفية في لقاء العاشق للمحبوب يقابلها رغبة الكاتب بإنشاء نص، وعندما تنشأ الكتابة وتنجز تصبح ذات أثر تحريري حيث جنون المرأة جزء من متاهات الشاعر مثال ذلك في المجموعة قصيدة (نارانا والموعد قريب) حيث الصياغة الأدبية معززة بالمعاني الشهوانية المحركة لعاطفته ورغبته في الإفصاح يقول :

مرة قالت لها يداي :
نقّلي غفوتك من زندي الأيسر إلى الأيمن
ساعتها ...
سيصبح جنونُكِ جزءاً من متاهاتي
و يضج ثغرك بحيوية النهم لفاكهة العشق
دائما كنت أتمنى
أن ترد على أسئلتي من شفتيها
و تؤجل أجوبة خصرها
لساعة اشتعال أخرى

و في قصائد أخرى تصل رغبة الشاعر بالتوحد مع امرأة قلبه وحلمه إلى ان يتقمصها فيكتب قصيدة على لسانها موزونة ومقفاة مُتضَمّنَة في قصيدته (ربيعها يمر على الحقول) حيث تقول :

لأنكَ لحظةُ العشق الجميلِ
و ذاكرةُ المواسم والفصولِ
لأنكَ دائماً تحيا بصدري
همومَ الغيم في بال النخيلِ
أثر صوتٍ فلسفي

تتميز اللغة الشعرية في (عصافير) أيضا بأثر صوتٍ وفلسفي واضح بما تنطوي عليه من كشف، واستبطان، وتبصر روحي، وحدس متجاوز، إذ يختبر الشاعر عن طريق الارتحال داخل ذاته الذات الثقافية العامة ويسمح في سبيل ذلك لمفردات الفلسفة الصوفية بالتسرب إلى قصائده تطعيماً لها بأفكار جديدة ومشاعر نادرة ومثالنا المقطع التالي :

عذراء القمة أنتِ
توزع ورود سلتها على المرئيات جميعاً
يا للجموح العاصف بمخيلتي
يهدم الحدود بين الواقع والمتعالي
بين المدرك والمتواري

و من قصائد متفرقة نتخير مفردات وتراكيب صوفية وفلسفية خالصة مثل (إشراقة فيضها)و (محلقا في نشوتي) (بجعة الروح) و(فضاء الكينونة)و (تندغم الذات في الموضوع والأنا في الآخر) و(ما وراء المرئي) و(ضفتي الوجود المعلوم والمجهول)و (قلق الروح) و(هتك الحجاب) الخ الخ

إن (عصافير) دليل ساطع على وظيفة النثر في تنمية اللغة إذ يعطي للغة مساحات أكبر من تلك التي يعطيها الشعر ويحررها من القيود الشكلية ويلزمها بضميرها الفني لان اللغة في منظور ما يجب ان يكون هي العضو الأكثر حيوية في جسد النص الأدبي وقد ظهرت سمة التجريبية في القصائد من خلال رجحان كفتي الشعر والنثر حيث رجحت كفة النثر في مواطن قليلة منها : ربيعُك اكرمني

أينع غصون أشجاري العارية الشاحبة
ببسالةٍ من يعطي
من واجب الحياة ان تُسعِد أرواحَ البشر
بكلّ أطيافهم وطبقاتهم لينحنوا قبولاً وعرفاناً
بالولادة المتعثرة لضمير الإنسان

ولكنّ كفّة الشعر في باقي المواطن رجحت وتدفّق ماؤها بالاستعارات ذات الرونق والزخرف والإيهام محققة بذلك قيمها التعبيرية والجمالية يقول في (أسئلة عنقها المضيء):

لا أحد يستطيع اغتيال أضواء شموسها
من ظلامات روحي
توغلَ غيثُها في يباسي
وغسل الطرقات التي تسير فيها أحزاني
من بإمكانه إبعاد زهرة عن جنوح نحلة إليها ؟
ومن يقدر أنْ يقنع الفراشة بخطورة المصباح ؟

الريادة الفنية للقصة النسائية في العالم العربي

شوقي بدر يوسف

تعتبر الكاتبتان وداد سكاكيني وروز غريّب وهما من كاتبات النصف الأول من القرن العشرين من الكاتبات اللاتي قد برعن في استنشاق رحيق الحياة الإبداعية من خلال ما تمنحه لنا هذه الحياة من جماليات الفن ورحيق الأدب، ومثل ما جمعهما فن القص كلّ بطريقته الخاصة جمعتهما رؤية واحدة في الكتابة عن رائدة من رائدات الأدب في العالم العربي وهي الآنسة «مي زيادة»، فقد صدر لوداد سكاكيني كتابها «مي زيادة حياتها وآثارها» وصدر لروزغريّب كتاب مشترك تحت عنوان «التوهج والأفول.. مي زيادة وأدبها» بالاشتراك مع أفلين عقاد. ولعل الجانب الثري في حياة هاتين الكاتبتين، وداد سكاكيني، وروز غريّب، هو اجتماعهما في بوتقة إبداعية واحدة حول النص القصصي والنص النقدى الموازي له، حيث كتبت كل منهما في مجالات القصة والرواية والسير الغيّرية نصوصاً إبداعية، غير أنهما اختلفتا في طريقتي التعبير، فقد كتبت وداد سكاكيني في مجالات القصة القصيرة خمس مجموعات هي «مرايا الناس» ١٩٤٥، «بين النيل والنخيل» ١٩٤٧، «الستار المرفوع» ١٩٥٥، «نفوس تتكلم» ١٩٦٢، «أقوى من السنين»١٩٨٠، كما صدر لها روايتا «أروى بنت الخطوب» ١٩٤٩، «الحب المحرم» ١٩٥٣. في حين أن روز غريّب صدر لها في النص للكتابة الإبداعية دراسات «النقد الجمالي وأثره في النقد العربي» ١٩٥٢، «نسمات وأعاصير في الشعر النسائي العربي المعاصر» ١٩٨٠، هذا علاوة عن ثلاث مجموعات قصصية هي «خطوط وظلال» ١٩٥٨، «نور النهار» ١٩٧٤، «رواق اللبلاب» ١٩٨٣، ورواية واحدة هي رواية «المعنى الكبير» ١٩٧١. وتمثل هاتان الكاتبتان في الريادة الفنية لأدب المرأة في لبنان علامة فارقة بين القديم والحديث، وتعتبر وداد سكاكيني من الكاتبات اللاتي كانت تبحث لنفسها دائماً عن التميز والتفرد والجدة في إبداعها ظهر ذلك منذ حداثة نشأتها حيث سبق أن فازت بالجائزة الأولى لمجلة «المكشوف» في مجال القصة القصيرة عن قصتها «الشيخ حمدى» عام١٩٣٢، وقد قال عنها الدكتور طه حسين»:اقرأ هذه الكاتبة بروية، فهي مجلية في البحث وأدب السيرة». وقال عنها الدكتور محمد مندور حين طالع إبداعها القصصي والروائي»:كتبت وداد سكاكيني القصة والرواية قبل أن تشيع عن وطننا العربي فكرة الالتزام بالأدب، فقد اهتدت في أدبها القصصي إلى هذه الفكرة بوحي من ذاتها وإحساس صادق بحاجات المجتمع». كما قالت عنها أمينة السعيد «:حين يرد ذكر وداد سكاكيني، يعتبرها كلّ شعب عربي واحدة منه، فاللبنانيون يعتزون بجنسيتها، والسوريون يتمسكون بتوطنها وهويتها، والمصريون يرون في إنتاجها أصدق صورة للعقلية الأدبية المصرية، والحقيقة أنهم جميعاً مصيبون، ففي وداد سكاكيني نفحة من لبنان وعمق من سورية وحساسية من مصر، وهي إذ تكتب تحملك على أجنحة الأدب في آفاق هذه المجموعة من الصفات الثمينة»، ومن السمات المهمة في أعمال وداد سكاكيني القصصية أنها كانت تهتم بالصورة القصصية الحاملة لمفردات البيئة التي تعبّرعنها والتقاليد والعادات الشعبية المتناثرة في كثير من أعمالها القصصية المبكرة والمتأخرة. أما روز غريّب فقد كانت علاوة على المجالات الإبداعية المختلفة التي برعت فيها فقد انشغلت بجانب ثري من جوانب الإبداع القصصي والنقدي والتمثيلي وهو جانب الطفل، فقد انشغلت روز بأدب الأطفال وجاءت أعمالها في هذا المجال بطريقة تبدوعفوية وتلقائية لعب فيها الخيال والواقع دوراً ملموساً في مد مكتبة الطفل بهذه الأعمال القصصية الآسرة الحاملة لمضامين براءة الطفل، وعمق الرؤية وسلاسة الفكرة وبساطة اللغة ما جعل أعمالها في هذا المجال إضافة مهمة في وقت مبكر لأدب الطفل في لبنان والعالم العربي.

وفي معرض حديثنا عن هاتين الكاتبتين اللتين كانتا في يوم من الأيام حاضرتين بإبداعهما، ومضيئتين للمشهد الأدبي في سورية ومصر ولبنان، نعرض لواحدة من قصصهما في هذا العرض القصير لملامح من عالمهما الإبداعي الذى يمثل لكل منهما سمة تميز لها خصوصيتها الذاتية ففي قصتي «وساوس» لوداد سكاكيني، و«فندق الجبل الأخضر» لروز غريّب نجد أن عالم المرأة هو المحورالرئيسي لموضوع القصتين، وأن هناك شبه تناص بين ما يدور في مخيلة الشخوص الرئيسية في النصين المنتخبين لهاتين الكاتبتين «ماري» في قصة روز غريّب، وهذه المشهدية الحكائية المتحلقة حول ممارسات المرأة في محيطها وحياتها الخاصة وصداقاتها الذاتية، و«تهاني» في قصة وداد سكاكيني، ونفس التيمة المتحلقّة حول الصداقة من خلال فنانة تشكيلية تحاول تجسيد واقع ذاتي لكنّها تقّع في خلق تشوهات لواقعها، تماماً كما فعل بيغماليون مع تمثاله الذى صنعه بيديه وتخيّل أن الحياة دبت فيه. الشخصيتان في القصتين يعملان على الوتيرة نفسها، فكل منهما تعمل هواجسها الذاتية وبوحها في تحريك الحدث الذاتي إلى ما تريد أن تعبّر عنه الكاتبة وتجسده في محيط هواجس المرأة ووعيها الذاتي بأحوالها وما يدور حولها من أمور نفسية، وحياتية تراودها في كلّ لحظة من حياتها.

بقعة حبر

صانعة التّاريخ

رنا بدري سلوم

المرأة الملهمة هي التي تبسط يديها كشمسٍ فتزيد الحياة يخضوراً، وتحرّك العواطف الرّاكدة في شرايين القلب، هي التي تلهم الفكروتوقد شرارة الإبداع، هي الشّجاعة والبسالة بل موطن الرجولة وحبل سرّه الذي لا ينقطع، ليس في قصص الحبّ التي قرأناها في الأدب كقصّة قيس ابن الملوّح وليلى العامريّة وليس في لوحات الفنانين دافنشي ورومني وحسب، بل في القيادة والرّيادة، المرأة الملهمة لشخصيّات حرّكوا مسارات الوقت ملهمات صنعن التّاريخ، فكنّ ملهمات لقادات العرب في إسبانيا «الأندلس»، فالمرأة الملهمة كانت وراء عظمة وشهرة الرجل وسبباً رئيساً في نجاحه وإخفاقه وشقائه أيضاً، كثيرات من النساء اللواتي كنّ قصيدة وأغنية وموسيقا ولوحة ومنحوتة، كن الجذورالأولى والوميض الأول والحرف الأول ولاسيّما للشعراء الذين شكلوا من نظرتهم للمرأة البناء الأساس لنصّهم الشّعري، وجوهررسالتهم إما بالتعبيرعن عاطفتهم تجاهها أو كتابة لسان حالها مخاوفها وألمها ضعفها وقوتها، امرأة استطاعت أن تختصرحضورأنوثتها الطاغية فعرفت كيف تسلب القلب وتحرك العقل بفن الممكن فتخلق من اللاشيء شيء.

ليقول لها المبدع إنها المستقبل وإنها الجنون الكامل هي رسائل شفهية وأصداء أصوات فنانين وكتّاب وشعراء قرأنا عنهم في كتبِ التاريخ العالميّة يعترفون بضعفهم أمام امرأة ألهمتهم فكانت جوهر فنّهم،ليتركان لنا «الملهمة والمبدع» في ذاكرة التاريخ فنّاً مشرقاً خلف إشعاعه.. قلب أنثى صلّى الحبّ ولا يزال ينبض بفنّه حتى تاريخنا هذا .

الكِتابُ الشّعبيّ.... إلى متى؟!

حبيب الإبراهيم

يُعدّ الكتاب أحد أهم مصادر المعرفة التي يستمد منها الإنسان ثقافته، والبوابة المفتوحة لتنوير العقل وتهذيب النفس، ومن خلاله يُتاح للمرء الإطلاع على تاريخ وثقافات الشعوب والأمم الأخرى، لذلك قيل فيه الكثير... عن أهميته وواقعه ودوره التنويري والتثقيفي، وخاصة في مراحل ما قبل الثورة الرقمية، وتفجر المعرفة وظهور الشابكة العالمية ووسائل التواصل الاجتماعي، فهو المعلّم بلا معلّم، هو المركب الذي يسافر فيه الإنسان بلا شواطىء وأشرعة ... فكان (خيرُ جليس) وخير أنيس، هو الصاحب والرفيق الذي لا تملّ صحبته، هو الصاحب الوفي، لذلك قال فيه أمير الشعراء أحمد شوقي:

(أَنا مَن بَدَّلَ بِالكُتبِ الصِحابا
لَم أَجِد لي وافِياً إِلّا الكِتابا)

في مراحلنا العمريّة الأولى - جيل الستينيات - كان من الصعب جداً اقتناء الكتب، وهي نادرة في بيئة ريفية نائية، حتى الجريدة كانت بعيدة عن تناول اليد، في هكذا ظروف ثمّة محاولات لنشر الكتاب في الأرياف البعيدة عن مراكز المدن، ولعلّ تجربة الوحدة الثقافية المتنقلة، والتي تتبع للمركز الثقافي في حماة، تُعدّ تجربة رائدة في تلك الفترة، أي منتصف السبعينيات، والوحدة الثقافية المتنقلة عبارة عن سيارة بيك آب مغلقة فيها كتب منوعة تتم إعارتها لمن يرغب لمدة شهر ثم تتم إعادتها.

هذه التجربة لا زالت تفاصيلها في الذاكرة وساهمت بدفعنا للقراءة والمطالعة حتى أصبحت (سوسة) لدينا.

مع الزمن تطورت وسائل توزيع الكتاب من خلال المكتبات المدرسية رغم فقرها بالعناوين الجديدة، لكنها تسهم بشكل أو بآخر في توفير الكتاب المجاني، إلى جانب معارض الكتب الثابتة والموسمية أو في المناسبات، وبما أننا في شهر الكتاب السوري والذي يمتد ما بين ١٢/٥/٢٠٢٤ولغاية ١٢/٦/٢٠٢٤ في جميع المراكز الثقافية ونوافذ بيع كتب الهيئة العامة السورية للكتاب والمعارض الدائمة في (جامعة دمشق - كلية الآداب / جامعة تشرين) .

لا شك أن تجربة وزارة الثقافة تجربة رائدة وإيجابية وتسهم في نشر الكتاب ووصوله إلى أوسع شرائح المجتمع وخاصة طلبة الجامعات، تشكّل تظاهرة ثقافية مهمة وتعمل على تشجيع مرتادي تلك المعارض على شراء الكتب مع الحسومات المجزية والتي تصل إلى ٥٠٪ من منشورات وزارة الثقافة والهيئة العامة السوريّة للكتاب.

لكن ثمة ملاحظات لا بد من ذكرها فيما يتعلق بشهر الكتاب:أولا التوقيت، إذ نعلم جميعاً أن هذه الفترة فترة امتحانات وتحضير للامتحانات وخاصة مرحلة التعليم الأساسي والثانوية ومن الصعوبة بمكان على الطالب والأهل التوجه إلى تلك المعارض في ظل ضغوطات الامتحانات والحالة النفسية للطلاب، وحتى تكون النتائج بحجم الجهود والنيات والأهداف النبيلة لوزارة الثقافة فإنه من الأهمية بمكان تعديل التوقيت كأن يكون في الربيع أو الصيف أو أي فترة بعيدة عن الامتحانات.

الملاحظة الثانية أن تلك المعارض تتركز في الجامعات والمدن، وفي ظل ظروف النقل والمواصلات قد يتعذر على الكثيرين الوصول إلى تلك المعارض، وبالتالي يمكن إعادة إحياء تجربة الوحدات الثقافية المتنقلة، أو التنسيق مع وزارة التربية بإقامة معارض في تجمعات المدارس الكبيرة وتخصيص إصدارات تتناسب مع الناشئة وقضاياهم.

يظل السؤال المطروح هل واقع الكتاب في سورية يلبي الطموح؟ هل يمكن تجاوز عثرات وصعوبات النشر والطباعة ودعم الكتّاب والأدباء مادياً كي يتمكنوا من نشر نتاجهم بيسر وسهولة؟

اليوم ومع ارتفاع أسعار الورق ومستلزمات الطباعة عالمياً، لا بد من تضافر جميع الجهود سواء أكانت دور نشر عامة أم خاصة لنشر الكتاب الذي كان وسيبقى أحد أهم وسائل نشر المعرفة والمعلومة وبناء الشخصية.

وهنا لا بد أن نشير إلى ضرورة نشر(الكتاب الشعبي) الذي ننتظره، ويمكن أن يسهم في توفير الكتاب بأيسر السبل ولكافة شرائح المجتمع.

ولا بد أن نشير وبإيجابية إلى تجارب بعض الصحف والمجلات التي كانت تصدر ورقيّاً في سورية بإصدار كتب، أو كتيبات شهرية مجانية مثل :صحيفة البعث، تشرين، الثورة، مجلة الموقف الأدبي، مجلة أسامة...

هذه التجارب لاقت قبولاً كبيراً من القرّاء والمهتمين، وتسهم في نشر الكِتاب وضمان وصوله إلى المناطق البعيدة والنائية..

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل تراجعت مكانة الكِتاب الورقيّ مع انتشار (الكِتاب الإلكتروني) والذي أصبح سائداً ومعتمداً حتّى من دُور نشر وهيئات تهتم بالكِتاب وإصداره؟؟

لا شك أن الثورة الرقمية وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي سحبت نسبيّاً البساط من تحت الكتاب الورقي الذي تراجع تعداده، لكن لم يتراجع دوره وأهميته في عملية نشر الثقافة والمعرفة لأنه يوثق مادياً للكتابة والإبداع، وبالتالي الكِتاب الورقي هو الذاكرة الحيّة لأي أمة تعمل على بناء حضارتها، ورفع مكانتها وتأصيل دورها، فالفضاء الأزرق ذاكرة هشة وهمية يمكن وبلحظة واحدة أن تتلاشى وتذهب أدراج الرياح؟

قولاً واحداً يظل الكتاب الشعبي الفرصة المناسبة التي يمكن من خلالها طرح عناوين جديدة تتناسب مع تطلعات واهتمامات القراء على اختلاف أعمارهم وميولهم وتطلعاتهم، وضمان وصول الكتاب إلى أوسع شرائح المجتمع، وتشجيع القراءة وتحفيز المتميزين من خلال تنظيم مسابقات خاصة بهذا الشأن، ومنح الفائزين جوائز عينية ونقدية مجزية، وتشجيع الأدباء على التأليف والنشر وزيادة الحوافز المادية والمعنوية، وهنا لا بد أن نُشيد بتجربة وزارتي التربية والثقافة بإطلاق مسابقة تحدّي القراءة والتي دخلت موسمها الثامن، وهي تجربة مهمة وشاملة تستحق الاهتمام و الاحتفاء بمواهب واعدة على طريق المعرفة والأدب.

صحيح أن ثمّة احتفالات واهتماماً بالكِتاب في اليوم العالمي للكِتاب والذي تم تحديده في الثالث والعشرين من نيسان، من قبل المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم، لكن حتى يأخذ الكِتاب حقه يجب أن يكون الاهتمام والاحتفاء به طوال العام وهذا بكل تأكيد يتطلّب تعاون وتضافر كل الجهات المعنيّة بالكِتاب تأليفاً وطباعة وتوزيعاً، وهذا ما نأمله.

وسنبقى نردد مع المتنبي، مالىء الدنيا وشاغل الناس:

(أَعَزُّ مَكانٍ في الدُنى سَرجُ سابِحٍ
وَخَيرُ جَليسٍ في الزَمانِ كِتابُ)

وتر الكلام

رفيقة الروح ...!

سعاد زاهر

في حضورها أو غيابها يمكن للمرأة أن تخلق حالة من الإلهام تلامسنا على الفور لأنها تكتب بنبض مغاير يدهشنا، الكيان الأنثوي حتى حين يعاني من التباسات مبهمة، فإنها هي الأخرى تجد مسرباً للإبداع حسب قربها وفهم المبدع لها.

الأمثلة عن نساء ألهمن الكتاب والشعراء لا تحصى البعض منها ما عاشه الأديب طه حسين مع زوجته الفرنسية حيث كانت العين التي يرى بها، وكانت حبه الأول والأخير، وكان «يصفها بأنها الملاك الذي بدل البؤس نعيمًا، و اليأس أملاً، و الفقر غنى، و الشقاء سعادة وصفوًا ...»

أيضًا ما فعلته زوجة الشاعر الإنكليزي وليام بليك من فرط حبها لزوجها فقد سعت لتخليد زوجها بقناع لا زال متحف تيت في لندن يعرض هذا القناع التي ابتدعته كاثرين لزوجها الشاعر بعد ما منحته قبلة الحياة.

إذا كانت زوجة بليك قد منحته قبلة الحياة لحبها الشديد له، إذاً هل يرتبط الحب مع كل هذا التفاني الذي تفعله المرأة حين تحب...؟

بالتأكيد والأمثلة المضادة عن مبدعين عانوا وعاشوا الجحيم مع زوجات حين افتقروا للحب كما حدث للفيلسوف سقراط..

فلسفة العلاقة التي تجمع بين المبدع والمرأة في حياته لا يمكن لها الاتساق بملمح متشابه، لكل ثنائية تضاداتها وتجاذباتها التي تنعكس على اقتياد المبدع لكلماته لينجح في شدنا إلى منتج متغير لكن روحاً أنثوية خفية تطيره نحو سحابات إبداعية لا يقترب منها إلا من امتلك حلمًا وإلى جانبه رفيقة الروح والعمر، منتمياً إليها أبدًا، كي ينقذ روحه الإبداعية متكئاً على ثنائية الحب والإلهام.

حينها يختط انتاجات لا تنسى، تتزايد متعتها مع تقادم الزمن لتدلنا على تلك الروح الخفية التي سطرتها من خلف الكواليس، فعلها كثر ليس أولهم طه حسين ولا آخرهم الماغوط أو نجيب محفوظ...

ستستمر تلك الثنائيات لتغني الحياة وتنتج الإبداع، تجتاح كياننا كأننا ولدنا للتو رغم أنها ليست حكايانا..

المهم أن نقرأ

عبدالكريم العفيدلي

في لقاء ودي جمعني منذ فترة مع الأديب الدكتور محمد عامر ماردیني برفقة أحد الأصدقاء ، حدثنا عن بداياته مع الكتابة قائلاً :» أثناء طفولتي كان لدينا جار صاحب مكتبة يؤجرالكتاب بفرنكين ، فنذهب ونستأجر الكتب لأنها كانت الوسيلة الوحيدة التي تملأ فراغنا وخصوصاً أثناء العطلة ، كان صاحب هذه المكتبة لديه عرض خاص من يقرأ الكتاب بنفس اليوم يمكنه أخذ كتاب آخر يقرأه دون أن يدفع ،ولذلك كنت نهماً بالقراءة وشغوفاً وخصوصاً أثناء العطلة وبقدرماقرأت منذ طفولتي تولدت لدي موهبة الكتابة فمن دون القراءة لا يمكنك الكتابة لأن القراءة هي أساس الكتابة ، لذلك وجهت بعمل مشروع في وزارة التربية للقراءة والتأليف وتنمية مواهب الكتابة لدى أبنائنا « .

عندما كان الماردیني يتحدث جال بذاكرتي حديث لأحد أبناء الأديب الدكتور عبدالسلام العجيلي ،كيف كان يحثه وأخوته على اقتناء الكتب والقراءة ، قال : كان والدي مع كلّ عطلة صيفية يصحبني وأخوتي معه إلى دمشق ،وأول مانصل يأخذنا إلى المكتبات لتسوق الكتب وكان سخياً كعادته معنا ، لكن بأقتناء الكتب كان أكثر سخاء وكان يحثنا حثاً على شراء كمية كبيرة من الكتب لتنمية القراءة لدينا .

والحقيقة كما يقول أحد العلماء :»إن سخاء النفس بالإنفاق على الكتب دليل على تعظيم العلم، وتعظيم العلم دليل على شرف النفس» .

قد يقول قائل :إن القراءة اليوم أصبحت من

الرفاهية ،وإن اقتناء الكتب أصبح حاجة ثانوية بسبب ثمن الكتاب المرتفع ،وبروز أولويات معاشية ينظر لها البعض أنها أهم من الإنفاق على شراء الكتب ، وظهور الكتاب الإلكتروني صرف الاهتمام بالكتاب الورقي والحقيقة وبمقارنة بسيطة نجد أن الكتاب الإلكتروني لن يستطيع إزاحة الكتاب الورقي ومتعة القراءة بالكتاب الورقي ألذ من الكتاب الإلكتروني فالورقي برائحته وتقليب صفحاته ينشىء علاقة حميمية بين القارىء والكتاب ،وهذه العلاقة لايستطيع توفيرها الالكتروني وبمجرد أن تنقطع الطاقة عن الجهاز لايتوفر بينما الورقي يتوفر ولايحتاج للطاقة الكهربائية ، وأيضاً الكتاب الورقي لايزعج العين فهو من المنظور الصحي مريح أما الالكتروني مؤذ للعين فمابالك بساعات قراءة طويلة .وقد يكون هذا أحد الأسباب المهمة التي تعيد ألق الكتاب الورقي وعودته لأيدي القراء هرباً من الآثار السلبية للتكنولوجيا وصخبها .لكن هناك من يرى أن تعتمد دور النشر سياسة هجينة تقوم فيها صناعة الكتاب بثلاثة توجهات مطبوع والكتروني ومسموع بمعنى أن توصل الكتاب بكل الطرق، وفي هذا السياق يوضح الدكتور عبد الله بن ناصر الحراصي وزير الإعلام العماني في مقابلة مع بي بي سي على هامش معرض مسقط الدولي للكتاب إن الأشكال الثلاثة للكتاب متكاملة، وقال «أستفيد من الكتاب المسموع عندما أمارس الرياضة، وأتحول للإلكتروني عند السفر لسهولة حمله وسرعة الحصول عليه، وأعود للورقي في المنزل أو المكتب في جلسة خاصة مع الكاتب حيث أتمتع بملمس الكتاب وكتابة الملاحظات».

الكتاب الذي نحتاج إليه في سورية هو الكتاب بأي شكل كان فالمهم أن نقرأ ، ويكفي أن نقول :إن أول كلمة في القرآن الكريم نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم بصيغة فعل الأمر(إقرأ) ، أي أننا أمرنا بالقراءة و من دون القراءة لن نستطيع التعلم ومن دون التعلم لن نستطيع الفهم .

«الكتاب روحٌ لا تموت»

د . ياسر صيرفي

لا شكّ في أنّنا عندما نريدُ أن نبنيَ أُمَمًا خلّاقةً ركيزتُها القوّةُ وسماؤُها الخلقُ النّبيلُ المُتّزنُ فإنّه لا بدّ لنا من أن نبنيَ الإنسانَ، ولعلّ خيرَ ركيزةٍ حضاريّةٍ مُهمّةٍ تساعدُ وبقوّةٍ في بَلورةِ الشخصيّةِ الإنسانيّةِ الرّزينةِ هي القراءةُ، وقد عمدَ دينُنا الحنيفُ جاهدًا ومنذُ غرّةِ الرسالةِ العظيمةِ إلى الحثّ على العلمِ والقراءةِ التي هي أساسُ العلمِ ورأسُ سهمِه، فأتتْ رسالةُ «اقرأ» لتحثّ البشريّةَ على المضيّ في سبيلِ العلمِ والمعرفةِ، فالكتابُ هو المنجاةُ التي تَنتشلُ صاحبَها مَن مهاوي الجهلِ والضعفِ إلى أعلى مراتبِ القوّةِ والحضارةِ والاتّزانِ، فهو الصديقُ الذي تراه حينَ تقصدُه، فلا يملُّك ولا يبخلُ عنك مدةَ طلبِك له، وهو جليسٌ صالحٌ انتفتْ عنه كلُّ معالمِ النّفاقِ والضّعفِ، وما العالمُ الذي نعيشُ فيه إلّا كتابٌ ومَن لا يسافرُ فيه يبقى رهينةَ صفحةِ الحاضرِ المَيْتَةِ، ولا يسمو ويرتقي إلى آفاقِ المستقبلِ وخفاياه، وهو نافذتُنا إلى أجملِ العوالمِ وأكثرِها وضوحاً، والحياةُ بلا كتابٍ بيتٌ بلا نوافذ، وقَلبٌ بلا نبضٍ، لكنْ ومعَ هذه الأهميّةِ والقيمةِ العظيمةِ للكتابِ إلّا أنّنا نعيشُ اليومَ معه حالةَ الهجرانِ والنّكرانِ، ولا سيّما في الإقبالِ الكبيرِ على الشابكةِ بدلَ الكتابِ، فباتَتِ الكتبُ رمزًا أكثرَ منه طريقاً للرّقيّ الحضاريّ والثقافيّ والدنيويّ جميعاً؛ ولعلّ مرجعَ ذلك إلى ارتفاعِ الأسعارِ مضافاً إليه ضعفُ المحتوى الذي تقدّمه كثيرٌ من الكتبِ مع غيابِ الرّقيبِ الحقيقيّ الغيّورِ الذي يمنعُ ما نراه اليومَ من سُفهٍ وضعفٍ وتَرّهاتٍ غزتِ الكتبَ المعاصرةَ -إلّا ما رحمَ ربّي- لذا فعلينا وانطلاقًا من الواجبِ الدينيّ والوطنيّ أن نعملَ جاهدين على إحياءِ الكتابِ وتوجيهِ الجيلِ الحاضرِ إلى أنواعٍ معيّنةٍ من الكتبِ التي تغني العقولَ، وتبثُّ في النفوسِ الحياةَ من جديد؛ لأنّ «الكتابَ روحٌ لا تموت» وإن شابَه شيءٌ من المرضِ فلا بدّ أن نكونَ نحن أساتَه الذين يعيدونه إلى ألَقِه مُعافًى، والعملِ وبكلِّ أمانةٍ على تشجيعِ تأليفِ الكتبِ التي تلامسُ الواقعَ وتنقلُه بصدقٍ، وبهذا نكونُ أوفياءَ لماضينا أوفياءَ لحاضرِنا ومستقبلِنا.

الشعلة المتقدة

رجاء شعبان

سأبدأ من سامية محرز حفيدة الشاعر إبراهيم ناجي صاحب قصيدة الأطلال التي غنت أم كلثوم أبياتاً منها لجمالها طبعاً! سامية محرز تعترف بأنّ الملهمة الحقيقية لجدها لم تكن جدتها زوزو حمدي الحكيم، ولم تكن زوزو ماضي، لكنها كانت السيّدة عليّة الطوير، جارة جدها فترة الصبا، ومعلمته اللغة الفرنسية، وقد تكون أيضاً مسؤولة عن توجهه الرومانسي، حيث إنه كان يشير إليها في مذكراته بـ..... «ع»

قد يتبادر السؤال لماذا تكون امرأة بعينها تلهم مبدعاً أو إنساناً في مجال ما؟ وربّما تدمّره وربّما تصنع منه إنساناً عظيماً، ولكن طالما ملهمة ستأخذه لمكانٍ عالٍ من أماكن التميز والإلهام حيث هي ترفعه إليها، فهي ملهمة سامية رافعة عاطية غامرة دافقة بالعاطفة والأنوثة!

العاطفة والأنوثة؛ نضع تحتها خطّاً! ما دخل الأنوثة بالإلهام؟ وما الأنوثة؟ نحن نقول المرأة الملهمة والمرأة الملهمة هي أنثى بمقومات مختصة من عوالم الأنوثة! الأنوثة التي هي صفات الرقة والعذوبة والجمال والذكاء والجاذبية، الأنوثة هي الشعلة المتقّدة لكيان أو من كيان.. هي مجاميع الإبداع.

قد يضحك البعض وخاصة من هم من أصحاب النظرية التي تقول أن كل النساء مثل بعضهن وكما وصف أحدهم قائلاً: كل النساء جميلات وأجملهنّ أمي! ومن مبدأ أنهن كلهن معطاءات بطريقة أو بأخرى.. وهذا صحيح، لكن نحن نقصد تلك الأنثى الخارقة غير الاعتيادية التي قدّمت ربما من لا شيء وأخرجت موهبة من العدم وتحدّت الصعاب أو امتلكت من الميزات الربانية والخلقية والصفات الجميلة مالم يكن عند غيرها من أصحاب الذوق المتعارَف عليه... فهناك دائماً تميّز بأي شيء والتميز عند المرأة يأتي بإضافة خصائص الذكاء لجانب خلقتها الربانية الممزوجة بالعاطفة مع مزيج لذيذ من العقل يوازن سيلان العاطفة وتدفقها إلى نهر جارف...وأسلوب منمّق منضبط.

إذاً المرأة الملهمة امرأة استثنائية، كسائر النساء، لكنها اجتهدت وبحثت في الحياة وأمسكت أسراراً منها ووصلت للحب النقي والعطاء الصافي، فعرّفتَك بجوانبك الخفية، وأخرجت من درر مكنونك، وأحبّتك لذاتك، لا لشيء آخر مُعتَرَف به فقط كشراكة حياتية معيشية، تعطي فقط غرائزياً الحنان والأمان وتأخذ الدعم والمساندة. هي لهيب الحب المتّقد الذي لا ينطفئ. يحرّك جذوة المشاعر، ويشعل لهيب الأفكار ويأتي من عالم العلوّ والإلهام بأشياء مبهرة وجميلة قد لا يعرف الشخص المقابل لها والمتعارف عليها أنها موجودة به! هي امرأة خالقة وليست ولّادة ومربية وداعمة... هي قد تؤذيك بتناقضها وتمرّدها وعنادها ولكنك تعشق كل مافيها لأنك ترى ذاتك متجدداً بها ومخلوقاً خالقاً لها ولذواتك الجديدة، فتقرّبك من ذاتك القداسيّة...هي إحدى ذواتك المختفية بك التي ظهرت من خلالها فأظهرتك بجلالها من تكوين هيبتك رقيقاً ناعماً متآلفاً مع الحياة... نصفك الناعم المختبئ في أعماقك هي والمغيّب وراء الذكورة والعادات والتقاليد التي تشجع القسوة وتلوم اللين. /

هي آلهة آتية من الأساطير وقادمة من الخيال مجسدة الأحلام تذيقك الجنة المفقودة على الأرض، تشعرك بالاكتمال قبل أن تنفصلا مشرّدين على أرض معذبّة، هي صفاء الشعور قبل وسوسة الشياطين من مخلوقات الكره... هي ولادة الحب من جديد... الحب المبدع للذات الإلهية، تفهم من خلالها سر خلقتك ونشأتك، وتعيد ترتيب أوراق ذواتك كأنك تتكوّن من جديد... وبسرعة هائلة، طاوياً الزمن في قبضتك مشعلاً الوقت ثمرة لذيذة لا تملّ من العمل وتناول ثمر أكلها... هي طعم الخلود.... الخلود الذي كنت لا تؤمن بوجوده ولا تتجرّأ أن ترفضه لأنه موجود لكنه قد غاب في الذاكرة... هي الحسم بوجود الخالق الجميل، وليس الحياة الواجبة المرهقة المتكررة كصفحات الأيام التي تعد العمر وتحسب الإنجازات بالأرقام لترضى..

المرأة المعجزة في زمن الهزائم!

تكون أنت لا شيء.. هكذا يخيل لك من نفسك فتأتي هذه الفتّانة الجميلة لتفتنك بحالك أولاً، وتريك جمال ما خفي منك، وتستر عورتك التي تراها قبحاً وذنباً... إنها ثورة المفاهيم... خربطة القيم وإعادة ترتيبها في مصنع الرقي والتسامي... إنها الآدمية المنوّرة في آدم الطين... والباعثة النغم في الصلصال.

لن أستطرد وأسرد أكثر وأخرج عن الموضوع وأستذكر قصص ملهمات في حياة العظماء وأقول كما قيل من قبل بأنّ: وراء كل عظيم امرأة عظيمة، ووراء كل عظيمة رجل عظيم؛ هذا صحيح! والعظمة للاثنين... لكنّ الأنوثة تلك الآلة المصنوعة من خشب أصيل، وذاك المعدن الذي صقله الزمن بالحنين... فغدت معك تلك الروح التي تعزف معك ذات اللحن، وتستخرج منك مبدعاً آخر خاصاً بها بطيبها وعودها وخشبها ومعدنها، ما يطرب ويمتّع ويفيد الإنسانية كلها...وليس فقط أنت يا منفرد يا إنسان إنها دواتك وحبرك وقلمك يا كفّاً حين يكون أصلياً مصقولاً بإتقان... إنها تلك الثمرة اليانعة الخاصة بك وحدك تتذوقها كأن لا طعم مثلها على الإطلاق... إنها نسل النور وسليلة أبناء السماء.. ستجدها دائماً لكن لن يمنّ الزمن عليك بمثلها إلا واحدة... فهي الواحدة وهنّ الكثيرات... هي المتفرّدة وهنّ المتشابهات... هي الطفلة وهن الكبيرات... لن تشعر معها بالعجز... وستعيش معها كل الفصول وكل مراحل التطور والنموّ والإبداع بلحظة واحدة... هي نصفك الآخر الذي تحن إليه وتشتاقه، وقد خرج منك منذ أبد الدهور...تعود إليه وقد بقيتَ تبحث عنه لتعرف نفسك...

فتأمل جمال وجودك بها.. بملقاها.... كم هذا رائع ونبيل!

وأختم من هذا الاستطراد الجميل في الأنوثة لخير جمال الأمثلة وقد تجسّد بأروع قصة حب بين كاتب مبدع فقد بصره وهو صغير وبين زوجة قال عنها: من دونكِ أشعر أنني أعمى حقاً

إنها سوزان بيرسو، وقصة حياة بينهما امتدت قرابة ٦٠ عامًا، ويقول عن هذه القصة بدر الدين عرودكي «هو المصري المسلم وهي الفرنسية المسيحية، هو الأديب والمفكر الذي أفنى عمره في البحث والتأليف وهي عيناه اللتان كان يرى ويقرأ بهما العالم، هما الزوجان اللذان لم يحييا حياة عادية، ولم يكن حبهما عاديًا».

سوزان بيرسو، تحدّثت عن زوجها عميد الأدب العربي طه حسين، بعد سنوات قليلة من وفاته، وأصرت أن تكتب

مذكراتها تكشف فيه حجم حبها لزوجها، الذي أصرت على الزواج منه في فرنسا رغم اختلاف الدين واللغة والدولة التي ينتميان لها، وكانت أكبر عون وسند له، لذلك قال عنها طه حسين «ما بيننا يفوق الحب».

ويسعنا هنا أن نستذكر عطية الله إبراهيم التي عاشت لنجاح زوجها الروائي العالمي والأديب نجيب محفوظ، وقال عنها: تحمّلتني كثيراً وساعدتني على تطبيق النظام الصارم.

فالأنوثة ليست فقط دلع وغنج ورقّة بل هي نظام صارم لحياة ناجحة وناتجة لكل أنواع النجاحات.

وتحية إلى ملكة أبيض زوجة الشاعر السوري الكبير سليمان العيسى والتي لا يختلف دورها عما ذكرنا وإلى الكثيرات الكثيرات... نحن لا نخصص هنا حتى لا نغفل ونظلم، فقط أعطينا مثالاً على قمة العطاء الأنثوي الذي أنتج إبداعاً ومبدعين. وحتى لا نظلم الأنوثة... قد تكون امرأة عابرة ملهمة في الشارع... في الحارة... في فيلم... في مسلسل... في بال... في خيال.... وليس فقط زوجة مرافقة أو عاشقة ورفيقة وصاحبة...

هي بالنهاية فكرة عبقرية مجنونة هاربة من عقال سجن العقل إلى مدايات الروح ومحلقة بالعقل حيث آفاق الغيم والشموخ....

وكنتُ صغيرة إذ كتبت: ضميني أيتها الأنوثة في حضنك الرقراق... فالروح أنثى والأنثى روح التحليق والحنان والانطلاق والانعتاق من قيد قبضان النفس... ولنحرر أنثى أعماقنا سواء كنا ذكراً أم أنثى....

زاوية حادة..

أين ديوان نديم محمد؟؟

د.ج

لا أظن أن شاعراً عربياً أحاق به الظلم والألم كما الشاعر نديم محمد بعض هذا من الشاعر نفسه حين انكفأ عن الناس والحياة وظلّ نزيل غرفته إلى أن رحل.

وبعض الظلم من الآخرين ممن لم يستطيعوا أن يفهموا أو لم يحاولوا فهم أنه شاعر من طراز لا يتكرر..... هو أبعد عمقاً في الألم من بودلير ومن رامبو وهو أكثر حساسية ورهافة من الياس أبي شبكة، المرأة كما قال هي (حواء خطيئتي الأولى)...

وهو القائل :أيها المشفقون لا تلمسوا الجرح بصدري فتوقظوا كبريائي.

نديم محمد رحلة الأم وعذاب.... جمر متقد يحرق كل شيء في الامه وفراشات وعناكب ورفاق يمضون وفرعون.

والظلم وقع على الشاعر بعد رحيله إذ تمّت طباعة ديوانه على حساب وزارة الإعلام.... ولم يوزع لأن خلافاً- كما يقال- وقع بين البعض على ميراثه.... لا ندري إن كان صحيحاً ولكن الصحيح أن الديوان ظل حبيس مستودعات وزارة الإعلام..... ماذا عنه الآن وأين أصبح..... هل يمكن إعادة توزيعه.....؟؟؟؟؟

هل من خبر عنه..... نأمل أن نجد الجواب الصحيح...

بدر شاكر السياب وملهمة أنشودة المطر

وفاء يونس

بأنشودة المطر أروع معلقات الشعر العربي المعاصر، هي القصيدة التي لا تموت ثمة ملهمة كانت وراءها وظل الأمر لغزًا لزم طويب انعام كجه جي تتبع الأمر بمناسبة ذكرى رحيل بدر شاكر السياب (١٩٢٦ - ١٩٦٤)، وكتب في الشرق الأوسط عن ذلك دراسة مهمة قال فيها: يعود التساؤل عن الحبيبة التي ألهمت الشاعر العراقي المجدد مطلع قصيدته الأشهر «أنشودة المطر».. إنها ليست قصيدة غزلية تمامًا، بل تبدأ، على عادة الشعراء القدامى، بالتشبيب والأسى الشخصي الشفاف لتتحول إلى نشيد سياسي هادر متصاعد، يستنكر جوع الفقراء ويبشر بالثورة وبهطول المطر.

«عيناك غابتا نخيل ساعة السحر».. هل هما العينان السوداوان لزميلته في دار المعلمين العالية، الشاعرة لميعة عباس عمارة، اللتان تغشاهما العتمة عند المغيب؟ أم هما العينان الخضراوان للمعان البكري، الطالبة الجديدة في كلية الحقوق، اللتان يحيل لونهما إلى غابات النخيل؟

«عيناك حين تبسمان تورق الكروم».. ففي تلك الأيام الملتهبة بالنشاط السياسي من أربعينات القرن الماضي، كان يكفي أن تبتسم طالبة جامعية لكي تجد أكثر من قصيدة طوع يديها، كتبها لها زميل من شعراء دار المعلمين العالية، وما أكثرهم.. ولعل السياب، الطالب الريفي القادم من الجنوب، كان أشعرهم وأكثرهم استعدادًا للوقوع في شراك نظرات وابتسامات بنات المدينة.. لقد استلطف الكثيرات وكتب لهن القصائد، يكفي أن تقع عيناه على وجه صبوح فتولد القصيدة وكانت بينهن من تتقبل القصيدة، لا صاحبها، ربما لأنه كان قليل الحظ من الوسامة، مهموم بالكتب والنضال، يحمل أوراقه في جيب سترته ويتوسط حلقات الرفاق والرفيقات لكي يقرأ عليهم ما ألهمه شيطان الشعر في الليلة السابقة، وممن كتب لهن، بالإضافة إلى لميعة ولمعان، زاهدة الدبوني وسعاد البياتي ولبيبة القيسي التي سماها «لبلاب»، وطالبة يهودية حسناء تدعى «بدر»، أيضًا، وكان يتهكم على نفسه قائلاً إنها تستحق اسمها فعلاً، أما هو فلا.

ومن بين أوهام كثيرة، كانت العلاقة العاطفية التي ربطته بزميلته الشاعرة ذات العينين المتوهجتين كالجمر، حقيقة يشهد عليها زملاؤهما، وقد ورد ذكرها في أكثر من قصيدة من قصائده.. لذلك فقد كان شائعًا أن الأبيات الغزلية الواردة في مطلع «أنشودة المطر» هي من نصيب لميعة.. لكن من عاصروا تلك الفترة يعرفون أن السياب كتب القصيدة وراح ووضعها في يد طالبة أخرى هي لمعان البكري.. فماذا تقول لميعة، وما هي رواية لمعان؟

كنت قد التقيت السيدة لمعان، صيف العام الماضي، في لندن حيث تقيم منذ سنوات في إحدى ضواحيها.. وهو اللقاء الذي سمح لي أن اتصل بها، مؤخرًا، لأطرح عليها سؤالي عن بدر، وعن قصيدة «أنشودة المطر»، وتوقعت أن تتحرج في العودة إلى تلك الحكاية البعيدة.. لكن المرأة التي حافظت على الكثير من ألقها، ردت بكل أريحية وأسعفتني ببعض الصور وبنسخ من القصائد التي أعطاها لها السياب.. وكانت لمعان قد تزوجت وتركت الدراسة وهي في الصف الأول، ثم عادت لمواصلتها بعد أن رزقت بطفل، لتتخرج في الحقوق عام ١٩٥٤ وتتدرج في الوظائف وتعمل في «وزارة الإعلام».. صارت مديرة عامة تشرف على الكثير من المرافق الفنية في بغداد.. ومثل الكثير من العراقيين، انتهى بها المطاف إلى الإقامة في إنجلترا.

قالت: «كنت طالبة في السنة الأولى حين تعرفت على بدر أثناء سفرة نظمها طلبة دار المعلمين العالية ودعيت لها.. وما زلت أذكر أن الشاعر كان يدور بدفتر قصائده بيننا ويقرأ علينا بعض أشعاره، ثم أعطاني ذلك الديوان المخطوط وطلب مني أن أقرأه.. وبالفعل بدأت بتقليب الصفحات والاطلاع على ما فيها ثم أعدته له وعدنا من السفرة وانتهى كل شيء.. لكن الذي حصل هو أنه واصل ترديد على كلية الحقوق، قرب الجسر الحديدي، غير بعيد عن دار المعلمين.. وفي كل مرة يأتيني بمغلف يسلمني إياه باليد، أو يبعثه بيد أحد من الزملاء».

كانت المغلفات تحمل قصائد غزلية جديدة لسياب، مكتوبة بخط جميل معتنى به، منها «أنشودة المطر» و«يا هواي البكر» و«نشيد اللقاء». وفي بعضها سجل الشاعر مكان كتابتها، مثل «أبي الخصيب» في البصرة، أو تاريخ الكتابة، مثل «ذكرى مساء ٧ نيسان ١٩٤٦». وهناك، أحيانًا، هوامش يشرح فيها مفردة أجنبية وردت في القصيدة مثل «نغمة خفاقة تغنى على صدر البيان»، حيث شرح الكلمة الأخيرة بأنها تعريب لكلمة «بيانو».

كيف كان انطباعها الأول عنه؟ لا تتأنى السيدة في الجواب ولا تحاول انتقاء كلماتها: «في ذلك الوقت لم نكن نتطلع للشعراء، فهم في الغالب معدمون، نراهم في المظاهرات ونصفق لقصائدهم، لا أكثر، وحتى في المظاهرات فقد كان طلاب الحقوق وكلية الطب أشطر في الهتافات من طلاب دار المعلمين العالية.. لقد كان السياب، كما رأيته يومذاك، شاباً قصير القامة، مؤدباً، ذا صوت خفيض جدًا، تنسدل ثيابه عليه مثلما تنسدل على علاقة الملابس، يرتدي قميصاً وبدلة كما في تمثاله الموجود على كورنيش شط العرب في البصرة».

فيما بعد، حين أودى به المرض وهو في عمر مبكر، سعت لمعان البكري، التي كانت مديرة عامة في وزارة الإعلام خلال السبعينات، لإقامة مهرجان في البصرة لتكريم ذكرى بدر شاكر السياب، رائد الشعر الحديث.. وقد كلفت النحات نداء كاظم أن ينحت للشاعر تمثالاً أزيح عنه الستار في الأول من (يناير «كانون الثاني») ١٩٧١.. أما الذي أزاح الستار فكان شاعرًا آخر هو الوزير شفيق الكمالي، وتروي لمعان أن الفنانة وجدان ماهر الكنعاني، وكانت تعمل في قسم التصميم في الوزارة، التفتت نحوها أثناء مراسم رفع الستار، وهمست في أذنها: «هل تكفّرين عن ذنوبك بحق السياب؟».

في ذلك الوقت، لم تكن تشعر بالزهو لأنه كتب لها القصائد، لقد سحرت غمازتاها شعراء كثيرين نظموا لها أحاسيسهم شعرًا. ولعلها تدرك اليوم قيمة تلك الوريقات التي احتفظت ببعضها وراح البعض الآخر مع ما راح من موجودات بيتها في بغداد، ومن بين ما عرضته علينا مخطوطة «يا هواي البكر»، التي كتب السياب في الصفحة الأولى منها، تحت العنوان: «لم تكن أهواؤه الأولى غير نزوات تموت مع اليأس.. أما حبه الجديد فهو باقٍ رغم اليأس والحرمان... فهو هواه الأول».

هل كان هواه للميعة عباس عمارة شغف عابر، أيضًا؟ حين تزوجت لمعان ولم تستجب لمشاعره، حمل عليها في قصيدة «أحبيني» الشهيرة، وقال: «وتلك كأن في غمازتيها يفتح السحر عيون الفل واللبلاب / عافتني إلى قصر وسيارة».. وهي القصيدة التي شكا فيها من سبع أحبهن ولم يحببنه كما كان يشتهي، بينهن لميعة «شاعرتي التي كانت لي الدّنيا وما فيها»، فماذا تستذكر عنه، في ذكرى رحيله، وهي في عزلتها البعيدة بمدينة سانديغو على الساحل الغربي للولايات المتحدة؟ إنها تحاول أن تتفادى الموضوع لأن هناك من يتوهم أنها تستفيد من تلك الحكاية لتلميع صورتها، كأن صورة لميعة الشاعرة المرهفة وملهمة الأدباء تحتاج إلى تلميع.

أسألها إن كانت قد أحبت بدرًا، كما أحبها، فتقول: «من الأكيد أنني كنت أحبه، وقد كتبت له شعرًا، وتأثرت كثيرًا بصداقتنا التي لم تكن أكثر من علاقة بريئة ومحلقة ومبدعة.. وهي قد كانت فترة غنية جدًا في حياة بدر، توقفت تقريبا فيها عن كتابة الشعر، طيلة الفترة التي عرفته فيها، وكنت مكتفية بدور الملهم والمستمع والناقد والرفيق والصديق.. كنت الأم والحبيبة، فكان إنتاجي قليلاً وإنتاجه غزيرًا، وكنت سعيدة بصداقته وراضية.. لكنه كان شكوكاً لا يثق في النساء ولم يصدق أنني أبادله مشاعره وأنا لست مطالبة بأن أقسم له بالأيمان الغليظة أني أحبه، فقد كان لي غروري وكبريائي وثقتي بنفسي والدلال المعروف عن العراقية، المرأة التي يلهث وراءها الرجل فلا تبدي مكنون ضمير وتبقى المترفعة، ولعله تصور أنني أحب الشاعر فيه فحسب، وأنا أحببته كإنسان.. وكنت أستمتع برفقته وبالنكتة التي كان يطلقها وبالذكاء اللماح الذي يلتقط به كلماتي وبالتفاهم العظيم بيننا.. كنا نستخدم لغة خاصة في الحديث، مختصرة وعميقة وجد صادقة.. وكان ما بيننا لعبة أذكياء وتواطؤ موهوبين.. إنها فترة من أثرى فترات حياتي العاطفية، بقينا سنتين معاً، وأثناءهما كنا نتراسل، وقد دعاني لزيارته في قريته جيكور ولبيت الدعوة بصحبة خالي عبد الرزاق جودت، وبقينا ضيوفاً في بيتهم ليلة واحدة، وقمنا بجولة نهرية كان خلالها يقرأ لنا الشعر».

وصلت إلي من لميعة عباس عمارة، بالبريد، مجموعة مغلفات تضم أوراقًا تخصها وصورًا من حياتها الحافلة وكتابات بخط يدها، منها ما قد يكون منشورًا ومنها ما لم أقرأه من قبل.. وبين الأوراق عثرت على ما تؤرخ فيه لعلاقتها بالسياب، حيث كتبت: «كنت أتوقع أن ألتقي بشاعر.. ليست نبوءة إنما أمنية.. وكنت أظن، وأنا في الثانية عشرة من عمري، أن الشعراء يسكنون في الكتب ولا يسيرون على الأرض.. وفجأة التقيته.. يمشي مع الناس، نحيلاً يحمل أزهاره الذابلة (في إشارة إلى ديوانه «أزهار ذابلة») ويشتم حبيبته السابقة وينتظر المجهولة الآتية، وقد جاهدت أن أكون صديقًا (تستخدم صيغة المذكر ولا تقول صديقة) أشاركه إعجابه بالجميلات وأستمع لما يكتب فيهن.. وقلت لأستاذنا في علم النفس، محمد النحاس، إن المريض شفي من تشاؤمه وكآبته ولكني أخشى عليه من مرض أشد.. ابتسم أستاذي وقال إن هذا المرض هو ما يحتاج إليه الشاعر».

في قصاصة أخرى غير مؤرخة، نقرأ: «اليوم يمر خمسون عامًا على لقائي ببدر. طالبة في الصف الأول من كلية دار المعلمين العالية، فرع اللغة العربية، وطالب في الصف الثالث فرع اللغة الإنجليزية، نحيف رقيق حساس هادئ وعصبي المزاج، أحيانًا. يدخن ويشرب الشاي ويلقي شعره في حديقة الكلية، جالسًا على المقاعد الخشبية محاطًا بالطالبات والطلاب.. يقرأ بصوت جهوري معبر وبتأثر شديد، تسعفه كفان من الجلد والعظم.. عيناه صغيرتان وأذناه كبيرتان.. له جبهة عريضة وشعر سبط بني يميل إلى السواد وأنف فيه شيء من الكبر (تشطب الكاتبة على هذه الكلمة الأخيرة) وذقن راجع إلى الخلف.. وهو حين يبتسم تبدو أسنانه العريضة وشيء من اللثة الرمادية من أثر التدخين.. بسيط نظيف في ملبسه.. محط اهتمام زملائه.. ينظر وكأنه لا يرى وهو يدقق في كل ما يراه وبخاصة الفتيات الجميلات السافرات من بنات الذوات، حيث الأسر المثقفة والمترفة تبادر بالسماح لبناتها بدخول الكلية المختلطة، بعكس الطلاب الذين تدفعهم الحاجة واستعجال الوظيفة لدخول هذه الكلية».

وعودة إلى السؤال حول «أنشودة المطر»، القصيدة التي اختارها عنواناً لديوانه الصادر عام ١٩٦٢، من هي الملهمة؟ تجيب لميعة في حديث هاتفي معها، مؤخرًا: «لقد قرأ علي بدر المقاطع الأولى (عيناك غابتا نخيل) ثم أكمل عليها، فيما بعد، (أنشودة المطر). وكان لقائي به بعد أن انتهت علاقته بلمعان البكري.. وأذكر أنها كانت قد طلبت صياغة سوار جميل من الذهب، منقوش عليه مطلع القصيدة.. لقد التقيت السياب بدرًا بعد أن كان قد قطع علاقته بها وقسا عليها بقصيدته (لعنات)، وكنت أجادله فيها وأقول: لا يجوز أن تلعن المرأة التي أحببت وأوحت لك بأحلى القصائد.. لا ترم حجرًا في البئر التي شربت منها.. وكان يحقد عليها لأنها اختارت أن تقترنَ برجل ميسور، وكنت أسعى لتخفيف ذلك الحقد لأنني أعرف طبعه وأعرف أنه من الممكن أن يحب أي طالبة تجلس بجانبه أو تستمع لقصيدة أو تصفق له، وبالتالي يتصور أنها تحبه ويجب أن تتزوجه.. لم يفهم أن الحب لا علاقة له بالزواج.. والفرق بيننا أنني كنت أبحث عن الحب وهو عن زوجة.. وعقدته أنه فقير ولم يتقبل أن فتيات بغداد لم يكنّ يبحثن عن شاعر يكتب لهن القصائد بل عن زوج له مستقبل».

من يعُد إلى دواوين السياب ولميعة عباس عمارة يجد حوارات شعرية واضحة بينهما وأصداء تتردد في هذا البيت أو ذاك، فهو يكتب: «سوف أمضي / أسمع الريح تناديني بعيدا». ونقرأ في قصيدة «شهرزاد» للميعة: «ستمضي فمن لي بأن أمنعك؟ / ستمضي فهل لي أن أتبعك؟ / فقلبي وشعري وعمري سدى / إذا لم أمتع بعيشي معك». وقد كتب السياب قصيدة «نشيد اللقاء» التي نجد صداها في قصيدة «شهرزاد» ذاتها: «سأهواك حتى تجف الدموع / بعيني وتنهار هذي الضلوع / ملأت حياتي فحيث التفت / أريج بذكرك منها يضوع / وفي ليلة من ليالي الشتاء / وقد لفني وفتاتي غطاء / سأرنو إلى الباب مرتاعة / وأتلو عليها (نشيد اللقاء)». ثم يعود السياب في قصيدة بعنوان «نهاية» ويردد صدى قصيدة لميعة قائلاً في أحد المقاطع: «سأهواك حتى... نداء بعيد / تلاشت على قهقهات الزمان / بقاياه في ظلمة في مكان / وظل الصدى في خيالي يعيد / سأهواك... ما أكذب العاشقين / سأهوا... نعم تصدقين».

الغريب أن مخطوطة «نشيد اللقاء» موجودة، اليوم، لدى لمعان البكري.. كما أن أكثر من طالبة من زميلات السياب نسبت «أنشودة المطر» إلى نفسها بعد رحيله وذيوع شهرته.. فهل كان الشاعر ماكرًا أم أنه كان رحب القلب والقريحة، يلتقط إلهامه من كل وجه صبوح يلوح أمامه ولا يخلص إلا لربة الشعر؟

مرآة المجتمع وسجله الحضاري

رفاه الدروبي

المرأة ملهمة الإبداع وأيقونة اللوحات. إنّها مرسومة بشغاف قلوب حانية كالأرض، وملهمة المبدعين ورفيقة دروبهم في جلِّ أعمالهم.

إنّها أمي

التشكيلي حسان أبو عياش رأى أنّ الفنان يتّجه في مواضيعه الفنية حسب حالته الاجتماعية وثقافته. وفي كلّ أعماله لم يجد في المرأة مشكلة تحتاج لحل، فالمرأة والرجل سواء في كلّ ما تتطلبه الحياة من حقوق وواجبات. إنّها حرّة وغير مضطهدة ويعتبر نفسه مديناً لوالدته سعدى الغريب «أم حسان» في حبّه للفن التشكيلي، فمن الطفولة كان معجباً بها ترسم لوحاتها الزيتية بكلّ شغف وإتقان وتلقى لوحاتها إعجاب الجميع، وفي أول أعماله كان عبارة عن منظر من لبنان، عُرض في المعرض السنوي في المتحف الوطني عام ١٩٦٠ تصدّرت إلى جانبه لوحة لوالدته بالاسم نفسه، لافتاً إلى أنّه كان ذلك قبل دخوله كلية الفنون كونها معلمته الأولى في الفن التشكيلي والحياة. ومع أنّه اتبع بشكل عام الأسلوب التجريدي الهندسي، واهتمّ بالتراث العربي الزخرفي في أعماله الفنية من فترة طويلة، وحاول تطويره نحو الفن المعاصر، ولكن أحياناً يتطرّق لدور المرأة في أعماله باعتبارها نداً للرجل، فيظهرهما متساويين في القوة والأهميّة، ولكلاهما خصوصية حدّدتها الطبيعة. إنّهما متساويان تماماً في تلقّي مشاكل الحياة وتعقيداتها، وربّما في إيجاد الحلول لها، ومع ذلك فهما يتناقشان في حوار دائم وأزلي، وأحياناً يتطرّق لنساء بشكل أسطوري كما في لوحات العرّافات، وربّما كانت المهنة ذاتها مرتبطة بالمرأة منذ القديم، أو بأسطورة «بجماليون»، أو بدورها في نشر مشاعر الفرح والسعادة بالحياة كما في لوحة أحلام المدينة.

عين ماء وضوء ونجمة

وأشار الشاعر جابر أبو حسين الطويل إلى أنّه لولا المرأة لما كنّا ولما كان الإبداع كونها مصدر خصوبة قصيدته والعالم. إنّها الأرض حبيبته وأمه ولايمكن أن يتخيّل نصاً جميلاً مشرقاً حيّاً بلا حضور المرأة ملهمة ويداً حانية على كتفه وعين ماء وضوء على جانبيه. وفي كلّ ما كتب كانت النجمة حاول أن يلمسها بكامل طفولتها وطموحها وطاقتها، وكانت الحديقة وارفة الظلال مَنْ أظلّته من حرارة الكتابة الحارقة وأدخلته نارها، وما إن خرج منها ببرد وسلام حتى تفتّحت قصيدته أزهاراً وزعتراً برياً ومساكب حبق ونعناع تسكنها بكلّ تحولاتها وطقوسها وعهودها منذ انبثاق آلهة الحب والخصوبة إلى كل العاشقات اللواتي سفحن قلوبهنّ على روابي الجمال، إلى كلّ الصبايا اللائي زرعن وردة في كتابه وعنباً على شفاهه وأشجاراً دائمة الخضرة في واحات قلبه وأنهار قلقه وأحزانه ودروب غربته الموحشة.

كما أكّد الشاعر جابر أنّ المرأة في الشعر تُحرّك القصيدة ببنائها، وتستدعي شياطينه وملائكته وما ملكت أيمان سطوته من أجل الخروج إلى الشارع والمسير الليلي تحت ضوء القمر والصعود فجراً إلى قمم الجبال ونداء عشتار وفينوس وإنانا وكلّ قادرة قديرة في خلق الإنسان، منوّهاً إلى أنّها الشعر تسير خلف القصيدة الذاهبة إلى جبهات القتال. لا تعبأ بعاذليها ولا تكترث لصخور ترميها الرقابة في الطريق. تذهب بكامل وردها وقهوتها وأهازيجها وزغاريدها المنطلقة في الفضاءات عصافير قمح ويمام سلام، لذا أحبّ الشاعر المرأة الطالعة شمساً فوق تلاله لتعيد تركيب يخضور القصائد كلما عصف الحنين وتعتّقت جرار السنين.

الحرية في الإبداع

كما رأت التشكيلية ليلى طه أنّ دور المرأة في التشكيل بصفة عامة يعتبر ترسيخاً للحرية في الإبداع والانعتاق من القيود الموروثة في التقاليد الحادّة أمام وصول الفكر الإبداعي المتحرر من المجتمع الذكوري الشرقي المتعارف بأنّ الوجه الأمثل للفن يكون الرجل والمأخوذ من الفكر الإبداعي لفناني عصر النهضة. من هنا تكون من الأهميّة بمكان التحرر من نظرة المجتمع إلى الفن على أنّه محصور بالرجل المساهم بالمزيد من الإحباط والانزواء، مشيرة إلى أنّ للفن دوراً مهماً كونه لغة بصرية وجزءاً أساسياً من الحياة ولاحدود له ولافواصل لأنّه يُرسخ المفاهيم والدلالات والمعاني الروحية لخلق الحوار الحميمي التوّاق لزرع في المنحنيات والمفردات التشكيلية في أعمالها كالحبّ والعاطفة، وروح العطاء كونها موجودة في مجتمع لا يتجزأ عن الآخر، وتعيش هاجس التوازن في الإبداع لمواجهه التناقضات والتقلبات لما تعاني منها اليوم وخلق التوازن بين المجتمع والأسرة في التلاقي، وتعزيز روح الجماعة، وارتباطه بأرضه ووطنه كون الفن مرآة المجتمع والسجل الحضاري، فدور المرأة الإبداعي بناء إنسان سوي يسهم في تقوية الروابط مع المحيط والخصوصية المنتمية لها في زرع تباشير الخير والثنايا والمنحنيات عبر نص التشكيلي، ورغبته في كسر العتمة لتُبعث المرأة من خلال الزوايا بمحبة وسلام وعدالة، فكانت ألوانها الحارة المشرقة تدلُّ على الأحاسيس المتدفقة تسحب المتلقي إلى أبعد من اللوحة.

إلى ذات الفنان والفنانة الأنثى وروحها المصلوبة لتدلك على الوجع وماعلقته عليها من آمال وأفراح.

تتأرجح بين الحرمان

بدورها الشاعرة والروائية فاطمة نور الدين جسّدت من خلال أشعارها وروايتها الأولى «ران على قلوبهم» المرأة فكان لها دور بارز فيها، طارحة أسئلة عن كيف لا تكون. إنّها المنبع لإبداعها ومحور العالم جلّه، وفيض الحُسن والجمال، وأوراق الخريف المتهالكة عن الأغصان. تتأرجح بين طيّات الحرمان، فمن حياتنا وأيامنا والمجتمع المتربّعين على جنباته على أروقة العالم الريفي نجد أنّ المرأة أخذت كفايتها من الذل والقهر والظلم حتى فاضت على العالمين.

مجتمع لايعترف سوى بحقوق الرجل مع تنزُّهه عن ارتكاب الكبائر كونه يفوق الأنثى في كلّ شيء، ويراها الضلع القاصر والمعوّج، مَنْ لا يجوز إعادة تقويمه أو المحاولة في استقامته إنّها لا تقوم لها قائمة، فعليها واجبات وليس لها حقوق، وينبغي أن تدفع ثمن عثرات الرجل، وإعوجاج العالم والكون كلّه.. تشارك العائلة منذ نعومة أظفارها في أعمالهم البيتية، وتلعب دور الأمّ وماتزال في براءة طفولتها، بجسدها الصّغير الغض فتُحرم حتى من أبسط حقوقها، ويترك للولد الذكر السّاحة برمتها. يلعب، يتعلم، يمارس طقوس حياته من دون رقيب أو عتيد.

وترى الكاتبة نور الدين أنّ الأنثى ينبغي عليها العمل من فم ساكت، وأن تكون وليمة دسمة لمجتمع تجذرت فيه العادات والتقاليد، وكلمة «عيب» أكثر من عبارة «رفقاً بالقوارير»، فنرى المحيطين بالمرأة عندما تلد أنثى تصبح وجوههم مسودّة مُكفهرّة وكأنّ على رؤوسهم الطّير، أمّا عندما تلد الذكر فترتسم ضحكاتهم المستبشرة خيراً، وعليها أن تراعي الكبير والصّغير.. أن تكون الضحية دائماً وعنقها مُسلّطة عليها سيف المجتمع بجلاديه وذكوريته البحتة، وتعود لتساؤلاتها من جديد: كيف لها أن تكتب أو تبحر في عالم الكتابة دون أن يسترعي نظرها الجزء النابض والأهمّ في جسد المجتمع المتهالك، وباستقامته يستقيم المجتمع وباعوجاجه يتوه المجتمع بين طيّات التخلف والحرمان، فالمرأة الوطن، الحضن الدافىء وملاذ الرجل في أوج انكساراته، وكيف لها أن ترسم لوحة أو تنثر قصيدة أو تعانق السطور وترتشف رشفة من فنجان القهوة بدونها؟ كونها أبجدية الحياة ورونقها وعبير وأنس الكلمات وشذاها.

جذر الوجود

الشاعرة رنا محمود رأت أنّ الشعر برقّته وعوالمه أشبه ما يكون بالمرأة، لذا منحت في أغلب قصائدها الأنثى جذر الوجود وأصل الحياة كون العالم كله خرج من رحمها الخلاق، فأنشدت:

أنا أنثى الألوهةِ
وفي حقولي
شقّتْ بذرةُ الحياة
دربَ خضرتها
الأزلي

بينما ترى أنّ الكتابة أنثى متمرّدة وقصيدة النثر تشبهها لأنها كسرت قيودها وانطلقت حرة محلّقة في فضاءات لا متناهية، متخلّصةً من أسر الوزن والقافية كما تتحرر المرأة القوية الواثقة الثائرة من قيود القبيلة وسيوف الذكورة المُسلّطة على رقاب النساء؛ لم تجد نفسها في القصيدة الكلاسيكية، ولا في النمط الكلاسيكي للمجتمع، فعاشت القصيدة كما أرادتها، ولطالما قالت: «الكتابة تشبهني، وعلى الكاتب أن يشبه ما يكتب، وعلى الفنان أن يبدع لوحته مرآة روحه، وفي الفنون كلها يجب أن تكون الولادات طبيعية لا قسر فيها، والتمرد المقصود: تمرد على الأخطاء والأعراف والتقاليد الفاسدة؛ وليس على الأخلاق ووجدان المجتمع السليم، فأنا أحترم بيئتي وأحبُّها، لكن أسعى لأن تكون جميلة نظيفة رائقة».

كما أضافت الشاعرة محمود بأنّها لُقّبت بشاعرة المرأة أو نصيرة المرأة، إذا كان المقصود المعنى الواسع للوصف، فحروفها مغموسة برائحة الأنثى، باعتبارها أمّ الكون، أمّا إذا كانت نظرة التوصيف لجهة قضية المرأة وما يدور في وجدان وإحساس الأنثى فتناولت الزاوية ذاتها بنشوة وإشباع وتفتخر بذلك، لكنّها تناولت الزوايا الأخرى أيضاً، فكان البناء كاملاً مضاء من كل نواحيه، فحروفها نبذت الحرب وحفرت بعيداً في الأرض وجلست مع الناس وعانقت فلسطين والشام والبحر والشجر والإنسان، لأنّها آمنت بأنّ الشعر إن لم يحمل قضية فلا معنى له، وتظهر الأنا في قصائدها وتقصد أن تمثل فيها الذات الجمعيّة العامة عند المرأة فجعلتها قوية واثقة كالملكات مثل: «أنا امرأة من زجاج أتشظى إن قذفت بحجر»، و«أنا المليكة الحرة التي شدت خيوط الأيام بأصابعها الباردة» فكان لعناوين دواوينها مدلولها (صرخة أنثى) ديوانها الأول، وتلا بعدها (الأرض بعض ظلي)، كيف لا تكون الأرض بعض ظل امرأة أنجبت الأنبياء والأبطال والشهداء والعلماء و(سر نبوءتي) لتكن المرأة نبية!! (حين ترسمني القصيدة) المرأة قصيدة. (الرونالیزا) ديواني الخامس وتماهت فيه بين ابتسامة يختبئ خلفها ألم مدفون. هكذا كان حال المرأة الشرقية،

وكفنانة تشكيلية لوحاتي ومنحوتاتي تتغنج وتبكي وترقص وتعتز فكانت أسماء أعمالي: (الملكة، حوريتي، الأميرة النائمة، الراقصة، الأنثى المحلقة ونص مسرحي بعنوان هذيان) مونودراما أنثوية واقعية نابعة من آهات جرحتها أشواك الحياة ومازالت تكمل المسيرة بامرأة شجاعة واثقة قوية كالملكات.

معجم الإبداع والمرأة.. تأثيراً وتأثراً...

خالد عارف حاج عثمان

كانت وماتزال المرأة المحرك الأول والأهم للحياة...فمنذ بداية الخليقة اثرّت في الحياة وحولت بوصلتها الوجهة التي تريد او ساهمت بتحويلها إلى الجهة التي تحب..

ومنذ بداية الخليقة تقاسمت والرجل مفاصل الكون وحيواته..

ألم تتدبر أمنا حواء ومعها أبونا آدم ظروف الكون وتجلياته حاضره ومستقبله...

واليوم ومتابعة لدورها الحياتي منذ زمن الأساطير إلى عصرنا الحالي مرورًا بكل العصور الماضية والوصول إلى أيامنا هذه.. عاملة ومبدعة وخلاقة مؤثرة ومتأثرة..

لقد لعبت المرأة دورًا محوريًا في نهضة المجتمعات القديمة والحديثة وأثبتت من خلال هذا الدور قدرتها على التغيير الإيجابي في تلك المجتمعات، فحضورها اللافت في مختلف جوانب الحياة وإصرارها على الوقوف بجانب الرجل ومساندتها له دليل على كونها عنصرًا أساسيًا في إحداث عملية التغيير في المجتمع...

واليوم كيف تتبدى صورة المرأة في إبداع الرجل وكيف صورها واستلهمها..والسؤال نفسه نطرحه بطريقة أخرى..مادور الرجل في إبداع المرأة...

هذه القضية هي محور ملف ملحقنا الثقافي الأسبوعي في صحيفة الثورة نطرحه كسؤال على المبدعين على الصيغة الآتية:

السؤال التالي للمبدع ما دور المرأة في إبداعك .

والمرأة ما دورك في إبداع الرجل أو دور الرجل في إبداعك..؟

×- الأديب والناقد القاص والطبيب د.زهير سعود..يجيبنا عن سؤال ملفنا قائلاً:

حبّذا لو جعلتم السؤال ذا صبغة أعمّ وأشمل، فلا يقف على وظيفة المرأة الإبداعية في حياة الرجل، بل يتخلّلها عبر موقف متنوّع ومتعدّد لدور الأنثى في الإبداع، لأننا سنثبت حينها أن لا إبداع بدونها، بل سأملك جرأة القول حينها بأن الحياة في جوهرها ذات طبيعة أنثوية، وما نفحة الذكورة فيها إلا لإبراز خصوبتها وإظهار شلالات الجمال وتدفّق الإبداع في تجديد الكينونة وتأكيد الخلق، عندما خلق الله القدير آدم لم تكن الأنثى غائبة عنه بدليل خلقها منه، وما ظهوره الأول إلا لإبراز عجزه وضعفه وتشتت وجهته بدون أنثى تكون مصدر استمراريته وإثبات نجاحاته وإخفاقاته في صوابية السلوك أم انحداره وسقوطه في عالم الخطيئة. ولو تناولنا الأنثى بصورة المرأة وعلاقتها مع الرجل، فتجليات تلك العلاقة رسمتها الصلة بالأم أولاً وهي الأهم في تحديد سيماء المبدع، ثم العلاقة بالمعشوقة ثانياً، وفي هذا السياق سوف نجد انعكاسات صريحة ومؤثرة لمظاهر الإبداع لدى أغلب مبدعي القرون وفي مختلف الأمكنة، لقد حدث ترويض الوحش أنكيدو في ملحمة جلجامش عبر تسليط أنثى جميلة عند شربه من نبع ماء، أنثى جعلته يتحول من الوحش لكائن وادع ضعيف يبحث عن الخلود والبقاء، والدرس الذي نقلته لنا الأسطورة هو تأكيد أن علاقة الإنسان المبدع بالحياة عنوانه المرأة، ومن تعلق بالمرأة تعلق بالحياة وهذا يثبت أيضاً أن من رفض المرأة في حياته هو رافض للحياة عبر فلسفة تشاؤمية برزت على لسان صاحب اللزوميات المعرّي وهو القائل:

وما الغواني الغوادي في ملاعبها/ إلا خيالات دقّت أشبهت لعبا.

وإنما الخود في مساربها/ كريه السمّ في تسرّبها.

أما فيلسوف التشاؤم في أوربا شوبنهور فقد أورثه إبداعه السلبي سلوك أمه حياله فهي بنظره متهتكة لأجل مجونها قتلت أبيه وطردته، إنه لمن المؤسف حقاً أن تكون أغلب الاتجاهات الإبداعية في الأمم الشرقية قد أجمعت على اعتبار المرأة قليلة الوفاء، سريعة التحوّل، لا تحفظ عهداً، ثم تنقّصوا عقلها وأخلاقها، ولكن ذلك لم يمنع من بروز المرأة كواجهة إبداعية دفعت شعراء عظماء كأصحاب الحبّ العذري للتشرّد والهيام كمحرض ودافع لظهور أعمالهم الإبداعية، وتبقى المرأة ماثلة في أغلب الأعمال الإبداعية المشهودة والمطبوعة قديماً وحديثاً، سواء تناولت اللغة الكتابية أم الشفهية وفي التعبيرات الروائية والشعرية ثم المشهدية للنحت والرسم والتصوير، فالموناليزا وعذراء الصخور أصل شهرة دافنشي، ورواية الأم جعلت لمكسيم غوركي شهرته، أما رسول حمزاتوف وبالرغم من أنه ترك أثراً شعرياً رقيقاً في العشق، لكنه وظّف أغلب نزوعه العشقي لبلده داغستان فكتابه «داغستان بلدي» كشف لنا عظمة الشاعر وقدراته التعبيرية البالغة الأثر...

×- الكاتبة الشابة

-سلمى وديع اسمندر ذكرت:

المرأة هي مصدر الإلهام الأكبر عند الرجل، وإبداعه يستلزم وجود امرأة بحياته، أما المرأة تبدع من خلال النظر لمرآتها، وليس للرجل دور في إبداعها بل إنه مجرد عنصر تكميلي، فأنا أبدع منذ سنوات، وليس هناك للرجل أي أثر في هذا الإبداع.

×- الشاعرة صديقة رابعة:

المرأة هي روح الحياة وبدونها يموت كل شيء

لذلك هي الملهمة الأولى في إبداع الرجل وتدخل كعنصر هام في النص الإبداعي لدى الرجل نذكر الكثيرين ممن أبدعوا»

امرؤ القيس ملهمته عنيزة

وعنترة ملهمته عبله

ونزار قباني ..... وغيرهم الكثير

هناك نساء أبدعن في نصوصهن الأدبية والروائية والمسرحية لكنها لاتضاهي ما أنجزه الرجل لأنها لم تتح لها الفرصة وظروف الإبداع وهناك رجال يريدون إخراجها من دائرة الإبداع

والكثير منهم من كره المرأة كالمعري والحكيم والعقاد

ومع ذلك كانت هناك مبدعات كرابعة العدوية والخنساء ونازك الملائكه.. وغيرهن

لم يكن الرجل ملهمًا لإبداع المرأة ...بسبب سيطرته كرجل.

×- الشاعرة والاعلامية سمر عميران:

دور المرأة في إبداع الرجل أن توفر له سبل الراحة والجو المناسب لحرية إبداعه والأجمل أن تكون جزءاً من إبداعاته بوقوفها إلى جانبه ومشاركته طموحاته وأحلامه والعمل على تحقيقها..

×- الأديبة رنيم خالد رجب..:

المرأة هي المعجم الذي يستقي من خلاله الرجل أو الكاتب كلماته

وهي المحفز للمعاني الجميلة التي يدرجها الكاتب والذي يكتسيها النص ..

هي اللغة هي الإحساس هي ريشة دونها يعجز الفنان عن إكمال لوحته....

كلاهما ملهم

سهير زغبور

لم يكن الإبداع يومًا حالة فردية الإيحاء عند الرجل والمرأة ..

والتاريخ منذ قدمه يشهد على ذلك ..

إذا كان كلاهما ملهمًا للآخر

وحاضرًا في كل أمكنته

فكان يقف على أطلال الحبيب

فيتذكره ويبكي ذكراه ويشتاق إليه ويكتب ..

ويربط هذا العشق بأمكنة لطالما جمعته به

ومن منا لم يقرأ رائعة امرئ القيس عندما بدأها بقوله

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل ..

حتى في المعارك كان الحبيب يذكر والموت على مقربة من الشاعر

كبيت عنترة الشهير

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني

وبيض الهند تقطر من دمي

ولم يقلص الزمن وتقدم الحضارات دور الحبيب في الشعر ..

بل على العكس صار للأدب حلة جديدة تناسب العصر

ومفرداته وبيئته والموضوع متشعب جدًا مابين الشعر وأدب الرسائل والروايات .

التي خلدها تاريخ الأدب ..

وباتت مرجعًا عاطفيًا وأدبيًا

كرسائل مي زيادة وجبران

وغسان كنفاني وغادة السمان ..

يقول جبران لمي زيادة في إحدى رسائله إليها

((لا تخافي الحب ياماري

لاتخافي الحب يارفيقة قلبي ..علينا أن نستسلم إليه رغم مافيه من الألم والحنين والوحشة))

فإذا كان كل هذا الكم من المشاعر ليس محركًا للكتابة أو محرضًا للقلم ..فالقلم فعل جامد حقًا ....

تلك هي الحقيقة التي لايمكن أن تخفى على أحد

فككل المشاعر النبيلة والإنسانية التي خلق لأجلها الأدب ...

كان الحب ومازال في النسق الأول منها....

بكل مايحمله من فرح وأمل ووعد ولقاء

وفراق أيضًا وألم وانكسار ...

ليصير بمثابة غيمة تظلل سماء الكاتب

وتمطره كل تلك المشاعر حبرًا على ورق مقوى

بشرايين القلب ..

تلك هي المعادلة المتساوية الطرفين...

الرجل والمرأة كلاهما يلهم الآخر ..حتى أقاصي الكلمة المنحوتة بالحب.....

الملهمة الأكثر حضوراً

حسين صقر

طالما كانت المرأة على مرّ الزمان والعصور بعيدة عن ملازمة للرجل، في المنزل والعمل وحتى ساحات الوغى، فلن تكون أبداً بعيدة عن إبداعاته، حيث إن بين شريحة النساء أعداداً ضخمة برعن في الفن والجمال وحتى القتال.

وبما أن الأعمال الأدبية تلامس الذوق وتغوص في أعماقه، وتصورالبهجة والحزن، وتترك الباب مواراباً يشف ولا يكشف، ليُخرج الكاتب مافي جوفه، وينطلق بخياله عبرالأضواء المتساقطة على روحه العاشقة، فسوف يأخذ من وجه المرأة وجسدها ولون عينيها، وطولها وقصرها وعصبيتها و دماثتها صورة منها ليبتكر أخرى توازيها أو تقترب منها أو تشابهها إلى حدّ بعيد.

للأسباب التي تقدّمت كانت المرأة ملهمة، سواء اقتربت أم ابتعدت عن الأديب أو الشاعر، وسواء عاش معها أم لم يعش.

إذاً :فالتأثيرهو القدرة على إحداث تغيير إيجابي في التفكير أو القناعات، وهو ما يخلق سلوكاً إيجابياً منتجاً، والمرأة الفاعلة المؤثرة التي امتلكت بعض الصفات التي تميزها عن غيرها، دفعت بالسواد الأعظم من الكتاب لتكون مصدر إلهامهم، وبالتالي كان لإنتاجهم الأدبي أو الشعري أهمية كبيرة في الوسط الثقافي وحتى الاجتماعي الذي يهتم بهذا المجال.

هذا التأثير بالتأكيد يحتاج لوعي كامل، يحيط الأديب من خلاله بكافة جوانب اللوحة التي ألهمته، ومصطلح الوعي بالذات مصطلح عميق، ويعرف في الأدبيات بأنه القدرة على التحكم في التفكيروالوعي بالمحيط الخارجي في جميع الأوقات، لأن الصورة الإبداعية يمليها العقل الباطن الذي يتخيل الأشياء من حولنا ويحولها إلى حروف وكلمات مكتوبة أومقروءة أو مسموعة.

الشعراء في القديم والحديث تحدثوا عن الإلهام ومصادره وشياطين الشعر ووادي عبقر، وهم إنما يقصدون أن الشعر خيال نتيجة الإلهام، حتى يخرجوا من نطاق المحاسبة العقلية، وكي يضفوا على قولهم الشعري منزلة وأهمية تفوق منزلة الكلام العادي، والمرأة ربما تكون الملهمة الأكثر حضوراً وأهمية وأثراً أو سبباً في الإبداع، ومحركاً للكتابة بغض النظر عما إذا كان دورها قد اقتصر فقط على الشرارة التي انطلقت منها القصيدة أم كان أبعد من ذلك بكثير.

ولو نلقي نظرة سريعة على مراحل الشعر العربي نلاحظ أن دورالمرأة الملهمة كان حاضراً في كل العصور، ولكنّه لم يكن بنفس الصورة في كلّ مرحلة، ولعل مصطلح المرأة الملهمة كان أوضح ما يكون في المرحلة الرومانسية التي كانت ثورة على الكلاسيكية في كثيرمن المفاهيم، ومنها الموقف من المرأة والإلحاح على دورها كملهمة.

وعلى سبيل المثال عندما يعيش الكاتب أو الشاعر علاقة حبّ، فإن الحبّ بحدّ ذاته ملهماً، فكيف إذا أحبّ الشاعر بكلّ جوارحه، فغالباً ما يجيء التعبير الأول عن الحبّ شعراً.

فحتى لو كانت تلك الأنثى قد وجدت في حياة الأديب أو الشاعر، فحتماً ستتخذ شكلاً آخر وروحاً أخرى داخل وجدانه، وستكون أكثر جاذبية وأبعد منالاً، وتلهم عواطفه وشعوره، ومتى ما تجردت المرأة الملهمة من كلّ تلك الحجب اللذيذة، المغرية على الكتابة والمحفزة على الإبداع انتفت عنها صفة الإلهام.

سليمان العيسى وسمراء حلب

حين سأله محاوره عن السمراء التي أحبها في حلب أجاب قائلاً: الشهباء مدينتي التي عشت فيها عشرين عاماً من خريف ١٩٤٧ إلى ربيع ١٩٦٧ ،حلب.. الحب، الشعر، التاريخ زهوة العمر، وعنفوان الشباب ، حلب التي أملت عليّ نصف شعري وأعطتني أسرتي: الصغيرة وأولادي الثلاثة وقبل هذا وذاك أعطتني رفيقة العمر، وشريكة الكفاح التي ملأت ولا تزال حياة الشاعروكانت القصيدة الأولى التي ما أزال عاجزاً عن كتابتها..

دخلت حلب مدرساً للغة والأدب في ثانوياتها في خريف ١٩٤٧ م لم أكن أحمل معي غير إجازاتي التي حصلت عليها من دار المعلمين العالية في بغداد ودفتر مخطوط يحمل أول مجموعة شعرية لي ،كنت قد بدأت أن أختار قصائدها وأسجلها في دفتري منذ أعوام لم أكن أسجل إلا ما يروقني من قصائدي، وأشهد أني كنت ألقي خلفي الكثير مما أكتب دونما أسف ، ولا ندم.

– فراشة تطير..

وماذا عن الفراشة..؟!

همس صديقي في أذني: هناك أسرة كريمة، قعد ربها عن العمل وفي البيت أربع فتيات يجدن صعوبة في متابعة دراستهن فهل أنت على استعداد لمساعدتهن ببعض الدروس؟ أعرف اندفاعك وإيثارك في مثل هذه الأمور؟!

قلت بلا تردد: سأضع كل ما أستطيع توفيره من وقت في خدمة هذه الأسرة ، وفي صباح اليوم التالي كنت مع صديقي وصديق الأسرة في البيت.. بيت أبي أحمد وأم أحمد الذي سيصبح أقرب بيت إلي في الشهباء .. كانت الفتيات الأربع اللواتي يجمعن بين الجد والمرح والتهذيب الرفيع والحرية المتزنة ينتظرن دروسي كلّ أسبوع مرتين أو ثلاثاً حسبما يتاح لي من فراغ، وكن يحدثنني من حين إلى آخر عن شقيقة لهن تتابع تحصيلها العالي في الخارج في بلجيكا لقد استطاعت هذه الشقيقة الذكية أن تشق طريقها إلى المستقبل الأرحب وتفوز ببعثة دراسية في جامعة بروكسل وستعود قريباً إلينا.

وجاءت السمراء ذات يوم من أيام الصيف دخلت البيت لأجد الأسرة كلها تحتفي بعودة الشقيقة من بلجيكا ومددت يدي أصافح السمراء النحيلة التي كانت ترتدي ثوباً أزرق امتلأ بالنقط البيض الصغيرة كقطعة من السماء الزرقاء امتلأت بالنجوم وأحسست منذ اللحظة الأولى أني أصافح فراشة تطير لا صبية تتحرك بخفة نسمة ورشاقة عصفورأمامي. ودار بيننا الحديث منقطعاً متشعباً لا يكاد يهدأ حتى يبدأ من جديد .. السمراء النحيلة تريد أن تعرف كلّ شيء عني وأنا أريد أن أعرف كلّ شيء عنها.. من يدري ربما كانت الحلم الذي يراود خيالك أيها الشاعرالشاب المتقد حماسة وثورة واندفاعاً إنها لا تقل عنك حماسة واندفاعاً إنها شيء آخر.. يختلف عن كلّ ما رأيت حتى الآن.

ومنذ ذلك اللقاء.. كنا ننطلق كلّ مساء في نزهة طويلة نجوب في شوارع المدينة العريقة، نمشي ونتحدث ، نتحدث ونمشي وتملأ الفراشة القادمة من بعيد فراغي كله وتدورالأيام وما تلبث أن تملأ حياتي كلها.

أما الدكتورة ملكة فتضيف قائلة: عدت إلى بروكسل لإكمال السنة الأخيرة بعد أن أعلنا خطبتنا واتفقنا على الزواج لدى عودتي إلى حلب وإني لا أنسى هذه (الدعابة) التي كتبها سليمان ذات يوم لوالدي هي أبيات من الشعر يحييه فيها ، ويسوغ مشاويرنا المسائية في صيف حلب منها:

إني أرى حلب تذوب حرارة
طول النهار وتبعث الأتراحا
كيف السبيل إلى اتقاء لهيبها..؟!
إنا لنرهب وهجه اللفاحا
كدنا نضيق بذاك لولا رحمة
من ربنا تسع الوجود فلاحا
خلق المساء لنا فكان نسيمه
يحكي طباعك رقة وسماحا..

ارحم ترابي

ليزا خضر

للغياب وزن وقامة
جالسٌ طوال الوقت على ركبتيّ
شربنا القهوة سويا
وبكينا سويا
في مرة حركتُ البن إلى فوق
فعلقت الرغوة على شفتيه
بدأتُ أرشف ريقها لكني تأخرت
عن موعدٍ لي مع الوجود
فأخرجت صنارة الخيال من شرودي
واصطدت كل زبد صوتك وجمعته تحت جلدي
مونة للشتاء
ثم تدحرجت رجوعاً إلى الماضي
كي أقبلك
و جلست بعدها على صخرة الخلق
خفيفة من وطء الغياب
وحالما سكت الكون نزّت حروفٌ من ألمي
وصرختُ في أذن المدى:
ارحمْ ترابي من رياء الماء
فجذري لو عرفتَه غضٌ
وفيه مشاتل عنفوان
ولو جمعوا دمي في بستان ذكرانا
فلون دمي يغني في أوصاله الوردُ
صيامي عنك صيام الريح عن وجهتها
وصيام الوقت عن أخضره
صيامي عنك صيام الشفاه عن تيممها
بريقِ صلاتنا الحلال
وحتى يصادق اللوز براعم الربيع
سأحبك قدساً تاهت أقماره عن أماسينا
وانشغلت نراجس القيامة فيه عن الأماني
وعن تراتيل الحب تلثم قلبينا
سأحبك رقصاً تعرّقنا فيه كلّ أفراحنا
وصلينا فيه كيما نبترد
جسداً هام في جسد
وصدراً رام السلام..
سأحبك مرهفةَ الرحيل كي لاتدوسني حرائقك
مشذّبةَ الصمت كي لا ترهقني أحاديث الكبار
ومشانق صوتك لا تصلب أغنيتي البيضاء
سأحبك وأنا أجمع بصماتك عن مشاجب اللحظات
وأكنزها فصلاً أرتاده كلما سحلني الشوق إلى صيفٍ معك
سأحبك وأنا أتنفس لهاثك عن أغطية العمر كلما بردت
وأوقد جمري عسى يدفئ شتاءاتك
يامطراً من رحم الغيمات الخصب
ولّادِ الحجارةِ التي تسقط في برك الروح
سأحبك بروحي المدمّاة
روحي التي ستقيم في الأبد
حيث بيتها الأزرق
سأحبك وأنظر كل مساء من معبدي إلى هناك
هنااااااك
حيث يسكن القمر

ليسَ في هذا البيتِ امْرأةُ

فوزي الشنيور

الشّرْفةُ تبكِيْ وحْدتَها
لا وردَ يفوحُ فيهَا
ولا عصفورٌ يترنّمُ في زواياهَا
أو تصْبحُ لهُ أحْلامٌ
والأشجارُ تَتَخلّى عنْ أوراقِهَا
منْ جفاءٍ مُزْمِنٍ
والنوافذُ قد صمّتتْ منْ كارثةِ الغبارِ
وليسَ هُناكَ سِوى رجلٍ وَاحدٍ
يتحرّكُ حيناً - بِبطْءٍ -
لأشياءٍ تَعْرفُهَا الأمْكنةُ وحَدهَا
وأحياناً يُحَدّقُ في امْرأةٍ منْ وَرَقٍ
يتزَيّنُ بهَا الجَدارُ
يبْدو أنّها في سفَرٍ
لا يفعلُهُ سِوى الأمْواتُ
xxxxx
تلكَ الشرْفةُ
على الرغم منْ أنّها
تَغْرُقُ في الزّخارفِ السّاحِرةِ
لكنّها لا تَجِدُ أحَداً يَلْتَفتُ إليْهَا
لكأنّها تَخْلو منْ امْرأةٍ تَغْمُرُهَا
بالْهمساتِ الدّافئةِ
لو أنّ هناكَ امْرأةٍ
لرأيْتَ الْوُرودَ تَتَحدّثُ عنْهَا
وتَأْخُذُ منَها الْجَمَالَ
ولرأيتَ الْبيْتَ
يَتَجدّدُ بزِيْنَتِها
كلّ أوانْ

صنوَ روحي

هيلانة عطاالله

رغمَ عبورنا زمناً
من جسورِ المحبة
إلا أنكَ لم تعرفْني بعدُ
أو ربما لا تريد ..
مؤخراً عذرْتُكَ كمعذرةِ الوردِ لقاطفِهِ
حتى وإن ذبلَ في ركنِهِ المنسيّ
مؤخراً اكتشفْتُ أنكَ تمثالٌ مرمريٌ
صنعتْهُ يدٌ ماهرةٌ فاستملكتْهُ
أما أنا فعطرٌ له روحٌ
ونسيمٌ له رفيفٌ
أنتَ تحفةٌ ثمينةٌ تسرُ الناظرَ
لكنها أسيرةُ الخزائنِ البلورية
وأنا انعتاقُ اللونِ السائلِ
من تواترِ الفصولِ الأربعة
أنتَ قلبٌ حجريٌ
لكنني علّقْتُهُ بأضلاعي
وأنا نبضةٌ تسري إزاءَكَ
لكنكَ لا تشعرُ بها
أنت زنزانةُ الأفكارِ النبيلةِ التي
اختلسْتَها من دموعي ونزيفِ جراحي
وأنا فضاءُ المعاني الكليمةِ بمُديتِكَ
أنت تصطادُ العصافيرَ والظباءَ
ليعيشَ جسدُكَ بها في الحياة
وأنا أصطادُ الكلمةَ من معجمِ الضياءِ
لتحيا روحي بها في الممات

لم يكنْ ثَمَّةَ ضَيْفٌ

عبد الكريم الناعم

رَكَضَتْ في آخِرِ الرّوحِ خيولٌ
منْ أزاهيرَ وتوْقٍ،
فَتَشَهّيْتُ النّبيذَ المُزّ
والرّقْصَ على آخِرِ تَخْمٍ
فقد اخْضَرّتْ كؤوسُ الرّوحِ
في عَدْوِ البراري
خاتمانِ انْتُزِعا،
بعناهما،
والأحرفُ الأولى مِنَ اسْميْنا
تَدَلّتْ في فراغٍ،
وَسَكِرْنا
وتأرْجَحْنا بما في الوجْدِ من
طاقةِ حبّ
وانْطَلَقْنا نَغْسِلُ العِشْقَ بماءِ
الحُزْنِ والتّوْقِ،
رَقَصْنا
ومَسَحْنا عن مرايا الرّوحِ
أسدافَ الغُبارِ
وبَكَيْنا آنَ لم يَبْقَ سوى
صَمْتِ الحواري

وكنت

علم عبد اللطيف

وكنت إذا رابَني فيك صمتُ المساء.
أوَيتُ الى نجمتي.. لأرقب فيها ضياءً
كأن الضياءَ كلامٌ
قريب.
وحادثتها مرّةً..
هي لم تُجِبْ
وقلت..
ألَسْنا نباتاً..
نضارته استمالت سماءً بها..
جذبٌ عجيب.
ألَسْنا وحيدين يا أيها الليل
وأنت ترى بعينِ الظلام
جميلَ انتظاري
وتعرف فيك النجوم
انبهاري.. وبعض اصطباري
وإني وأنت..
كما قد روى فينا الغياب
نُسائلُ... نُسألُ دوماً..
لكننا لا نُجيب.
وقولي... أيا نجمةَ الليل
متى كان قطع حبل التواصل
هل تنامين عند أفول البهاء
ويبقى لديك بأعتاب صمتك
ذاك الحبيب.
ومن بعدِ انبعاثٍ.. لآلاءِ ضوءِ الصباح
وفي غرّةِ ضوءٍ يجرّ ذيول الكلام
يُباغتُ قلبي كلامٌ
أردتُ سماعَ صداه
أليفٌ..مَهيب.
فيا نجمةَ السحرِ ذابَ الضياءُ
ودُبْنا هوىً..إلى بعض السّمَر
وبعض الهوى قد يذوب غيابا..
وقد يقول
أذوبُ.. وربما قد أُذيبُ.
غريبان نحن بغُربة ضوءٍ
واسمي غريبٌ
لنا بالحكم وصلٌ وثيقٌ
أريبٌ
فيانجمتي.. وعزّةِ ضوئك..وغربةِ روحي
غريب أنا.. وكلُ غريبٍ..
لغريبٍ نسيب.